
55
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
بقلم: هانز كريستيان أندرسن
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق
حكايات أندرسن

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



مهما كانت جنسيتك أو ثقافتك ، فلابد أنك تحمل فى جزء من خلايا عقلك بعضًا من إبداعات (هانز كريستيان أندرسن Hans Christian Andersen) . هل شعرت يومًا ما بأنك (البطة الصغيرة القبيحة) ؟ هل سمعت تعبير (الإمبراطور عار تمامًا) عندما يعلن أحدهم حقيقة يخشى الناس الاعتراف بها ؟ هل رأيت فيلم الرسوم المتحركة (عروس البحر الصغيرة) ؟ إذن أنت قد دخلت ذلك العالم الساحر دون أن تعرف .

لقد ترجمت القصص الخيالية لهذا العبقرى إلى أكثر من ٨٠ لغة ، وقد استلهمت منها مسرحيات وعروض باليه وأفلام سينمائية ..

كاتبنا العبقرى دانمركى الجنسية ولد عام ١٨٠٥ لأب متعلم يعمل إسكافيًا ، وأم تعمل غسالة . وقد فتحت هذه الأم غير المتعلمة المؤمنة بالخرافات عينى الصبى على عالم

التراث الشعبى . فيما بعد لقيت هذه الأم نهايتها بسبب الإفراط فى الكحول فى دار خيرية للفقراء المسنين . تلقى (أندرسن) أقل القليل من التعليم بالإضافة إلى مشاكله النفسية بسبب طوله المفرط وعينيه المتقاربتين وملامحه الأنثوية نوعًا . وكان يصاب بنوبات هياجية شخصها الأطباء تشخيصًا خاطئًا على أنها صرع .

كانت علاقته بأبيه حميمة فعلاً ، فقد اصطحبه أبوه إلى المسارح وحكى له (ألف ليلة وليلة) وكان يصنع له عرائس ووسائل تسلية مختلفة . يقول (أندرسن) فى مذكراته : « فى تلك اللحظات فقط كنت أرى أبى سعيدًا .. هو الذى كان محبطًا دومًا بسبب العمل اليدوى الذى لا يراه يناسبه . لقد استوليت عليه بالكامل لنفسى .. »

بعد وفاة أبيه اضطر لأن يعمل ليعول نفسه . انتقل إلى (كوبنهاجن) العاصمة فى الرابعة عشرة من عمره ، حيث عمل حرفيًا وتحمل سخرية أقرانه الذين كانوا يعتبرونه فتاة متخفية . مارس بعض الوقت مهنة الغناء والرقص فى المسارح ، فقد كان له صوت (سوبرانو) جميل . وفى العام ١٨٢٢ بدأ يقدم أعماله الأدبية .. فى العام ١٨٢٧ حصل على منحة للدراسة فى جامعة (كوبنهاجن) . فى هذه

الفترة وقع فى الحب .. وكانت فتاة رقيقة اسمها (ريبورج فويت) بادلته الحب ، ثم - كالعادة - سرعان ما تزوجت أول عريس مناسب .. وحينما مات عام ١٨٧٥ وجدوا حول عنقه كيسًا جلديًا يضم رسالة كتبتها له منذ نحو خمسين عامًا . بالمناسبة لم يتزوج (أندرسن) قط .

كانت أولى أعماله الناجحة هى (رحلة على الأقدام من قناة هولمان إلى الطرف الشرقى من جزيرة أماجير خلال الأعوام من ١٨٢٨ إلى ١٨٢٩) ! نعم .. لا يوجد خطأ .. هذا هو اسم العمل وليس خبرًا فى جريدة ..

ثم قدم لنا روايته (المرتجل) . وقد سافر كثيرًا جدًا وكتب أكثر .. قابل (فكتور هوجو) و(بلزاك) فى فرنسا ، وذهب إلى ألمانيا ليرى (جوته) لكنه لم يقابله ، وقابل (ديكنز) فى إنجلترا باعتباره تلميذًا منبهرًا بأستاذه . من الغريب أن (ديكنز) العظيم استلهم منه فيما بعد أعماله (الأجراس) و(ترنيمة الكريسماس النثرية) .. كما نرى بصمات (أندرسن) واضحة فى قصص (أوسكار وايلد) « الأمير السعيد » و« البلبل والوردة » .. أى أنه أضاف لأساتذته أكثر مما أضافوا له .

إن قصص (أندرسن) الخيالية للأطفال هى الشىء الذى

منحه شهرته ، وبها اتخذ مكانه إلى جوار الأخوين (جريم) و(لويس كارول) وغيرهم من سحرة الأطفال . وقد قدم لنا فى تلك القصص أسلوبًا مبسطًا أخفى وراءه معانى فلسفية عميقة ودروسًا متنكرة ، وهو ما يختلف عن قصص الأطفال الوعظية المعتادة . وسوف نلاحظ الدرس المعتاد فى كل مرة : إن أدب الأطفال والشعر متقاربان أو هما نفس الشىء فى الواقع . إن قصصه اعتبرت استكمالاً لقصص الأخوين (جريم) و(ألف ليلة وليلة) لكن من بين ١٥٦ قصة حكاها (أندرسن) كانت هناك ١٢ قصة فقط من التراث الشعبى ، وهذا ليس الحال مع الأخوين (جريم) اللذين اتهمهما النقاد بعدم الأصالة . وسوف نلاحظ فى كل قصصه أن الأطفال والمنبوذين يتكلمون الحقيقة وهم صوت العقل مجسمًا . كان (أندرسن) فقيرًا وتعسًا جدًّا ، لذا قدم لنا غالبًا تلك النماذج التى تصل إلى السعادة بعد طول شقاء .

إن أكثر قصصه تنتهى نهايات سعيدة باستثناء نماذج قاسية مثل (بائعة الثقاب الصغيرة) . ويبدو أنه ظل حتى نهاية حياته يعتبر نفسه (البطة الصغيرة القبيحة) .

هذا ديدن العباقرة الذين تدخل عُقد صباهم المصهر لتتحول إلى ذهب يبقى للأبد بعد رحيلهم .

د. أحمد خالد توفيق

للمهتمين بمعرفة المزيد عن (هانز كريستيان أندرسن) وقراءة معظم أعماله بالإنجليزية ، أقترح هذا الموقع على شبكة الإنترنت :

http://falcon.jmu.edu/~ramseyil/andersen.htm

والمهم كذلك أنه يحوى روابط لمواقع أخرى عديدة .

ثياب الإمبراطور الجديدة

منذ أعوام عديدة كان هناك إمبراطور مولع للغاية بالثياب الجديدة ؛ حتى إنه أنفق كل ماله على الثياب . لم يهتم البتة بجنوده ولم يبال بالذهاب إلى المسرح أو الصيد . فقط كان يختار المناسبات التى تتيح له أن يعرض ثيابه الجديدة . وكانت لديه حلة مختلفة لكل ساعة من اليوم ، وكما اعتدنا أن نقول عن أى ملك أو إمبراطور آخر: « إنه فى المجلس » ، كان يقال عن هذا الإمبراطور : « إنه يجلس فى خزانة الثياب . »

مر الزمن السعيد على المدينة الكبيرة التى كانت عاصمة إمبراطوريته ، وكان الغرباء يأتون كل يوم إلى البلاط .. وذات يوم ظهر محتالان يطلقان على نفسيهما نساجين ، وأعلنا أنهما يجيدان نسج ثياب باهرة الجمال متقنة التصاميم .. وأن الثياب التى ينسجانها تمتاز بأنها شفافة لا يراها إلا من كان غير صالح لمنصبه ، أو كان ساذجًا إلى درجة تفوق الوصف .

فكر الإمبراطور :

ـ « لابد أن هذه الثياب رائعة ! لو كانت عندى حلة كهذه لأمكننى أن أعرف الموظفين الذين لا يصلحون لمنصبهم .

ولأمكننى أن أميز الحكيم من الأحمق ! يجب أن ينسجوا لى هذا النسيج حالاً . »

وأمر بأن يمنح النساجان مبالغ هائلة من المال كى يبدءا العمل حالاً .

نصب النساجان المدعيان نولين وشرعا فى العمل بانهماك شديد ، برغم أنهما فى الحقيقة لم يكونا يفعلان أى شىء .. طلبا أرقّ أنواع الحرير وأنقى خيوط من ذهب ، فكانا يضعان هذه الأشياء فى الحقيبتين على ظهريهما ، ثم يواصلان النسج حتى ساعة متأخرة ليلاً ..

قال الإمبراطور لنفسه :

ـ « أرغب فى معرفة ما قام به النساجان فى ثيابى . »

بعد قليل شعر بالحرج حينما تذكر أن المغفل أو الشخص غير الجدير بمنصبه لا يرى هذا النسيج . وكى يتأكد قرر أنه لن يخسر شيئًا لو جرب بنفسه ، لكنه فضل أن يرسل شخصًا آخر يتحرى له عن النساجين وما يقومان به من عمل .

كان الجميع فى المدينة قد سمعوا عن تلك الخاصية الفريدة للثياب ، وتمنى كل واحد أن يرى مدى حكمة أو مدى جهل جيرانه .

قال الإمبراطور فى النهاية بعد تدبر طويل :

- « سأرسل وزيرى المخلص العجوز إلى النساجين .. سوف يكون أفضل من يرى الثياب .. إنه رجل عاقل ذكى ولا يمكن أن يكون هناك شخص جدير بمنصبه اكثر منه . »

هكذا ذهب الوزير المخلص إلى القاعة حيث كان المحتالان يعملان بكل قوتهما ، على النولين الفارغين .

فكر العجوز وهو يفتح عينيه عن آخرهما :

- « ما معنى هذا ؟ لا أرى خيطًا واحدًا على هذين النولين . »

لكنه لم يعلن عن أفكاره بصوت عال .

طلب منه النصابان أن يتكرم بالدنوّ من النولين ، ثم سألاه عما إذا كان التصميم يروق له ، وعن رأيه فى الألوان . قالا هذا وهما يشيران إلى النول الفارغ . نظر الوزير المسكين ونظر لكنه لم ير شيئًا على النولين ، لسبب بسيط هو أنه لم يكن هناك شىء . وفكر ثانية :

- « هل من المعقول أن أكون مغفلاً ؟ لم أحسب نفسى هكذا قط .. ولا يجب أن يعرف أحد هذه الحقيقة الآن ..

إذن أنا لا أصلح لمنصبى .. هذا لا يجب أن يقال كذلك .. لن أعترف بأننى لم أر القماش . »

تساءل أحد النصابين متظاهرًا بأنه ما زال يعمل :

- « حسن يا سيدى الوزير ؟ لم تقل ما إذا كان القماش يروق لك . »

أجاب الوزير العجوز وهو ينظر للنول عبر عويناته :

- « آه إنه رائع .. التصميم والألوان .. سأخبر الإمبراطور بلا تأخير كم هى ثياب رائعة ! »

قال المحتالان :

- « سوف نكون ممتنين لك . »

ثم راحا يصفان الألوان وتصاميم الثياب المرتقبة . وراح الوزير العجوز يصغى بانتباه لما يقولان على أساس أن يقول هذا الكلام للإمبراطور ، ثم طلب النصابان المزيد من الحرير والذهب لاستكمال ما بدءاه . لكنهما وضعا كل ما نالاه فى حقيبتيهما . وواصلا العمل بذات الكد أمام النولين .

أرسل الإمبراطور الآن ضابطًا آخر من بلاطه ليرى ما حققه الرجلان ، وليتأكد من قرب انتهاء الثياب ، وقد فعل الرجلان مع هذا السيد ما فعلاه مع الوزير ، لقد تفحص النولين فلم ير شيئًا إلا إطارات فارغة .

سأل النصابان مبعوث الإمبراطور الثانى وهما يقومان بذات الحركات :

ـ « هل تبدو الثياب جميلة فى عينيك كما بدت لسيدى الوزير ؟ »

فكر المبعوث :

ـ « أنا بالتأكيد لست أحمق .. لكن من الجلى أننى غير مناسب لمنصبى الطيب المربح .. لا يجب أن يعرف أحد بهذا . »

هكذا راح يمتدح الثياب التى لا يراها ، ويطرى ألوانها وتصميمها . وقال للإمبراطور لدى عودته :

ـ « الثياب التى يعدها النساجان يا صاحب الجلالة الإمبراطورية رائعة . »

راحت المدينة كلها تتكلم عن الثياب الرائعة التى طلب الإمبراطور أن تنسج له على حسابه .

الآن صار الإمبراطور نفسه مشوقًا إلى أن يرى الثياب الباهظة ، وهى ما زالت على النول . ذهب إلى هناك مصحوبًا بعدد من ضباط البلاط المختارين بينهم السيدان اللذان أعجبا بالثياب . فما إن شعر المحتالان بقدوم الامبراطور حتى راحا يعملان بكد أكثر . برغم أنهما لم يمررا خيطًا واحدًا فى النول .

قال أحد الضابطين :

ـ « أليس العمل رائعًا ؟ لو تفضلت يا مولاى بالنظر إليه .. يا له من تصميم مذهل ! يا للألوان المجيدة ! »

وأشارا إلى الأطر الفارغة . لأنهما حسبا أن الجميع قادرون على رؤية هذا العمل المتقن .

قال الإمبراطور لنفسه :

ـ « كيف هذا ؟ لا أرى شيئًا ! هذه مسألة فظيعة ! أنا رجل ساذج أو لا أصلح لأكون إمبراطورًا ؟ هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث .. آه إن الثياب رائعة ! »

وبصوت عال قال :

ـ « إنها قد ظفرت باستحسانى الكامل ! »

ونظر إلى النول الفارغ . لن يعترف تحت أية ظروف بأنه لم ير ما رآه الضابطان وامتدحاه . جاهد كل رجال الحاشية وحاولوا أن يروا شيئًا على النول ، لكنهم لم يروا إلا ما رآه الآخرون ، لكنهم صاحوا فى عجب :

ـ « يا للجمال ! »

ونصحوا جلالته بأن يصنع ثيابًا جديدة من هذا القماش المذهل من أجل الموكب القادم . ودوى فى كل مكان :

- « رائع ! خلاب ! ممتاز ! »

وانتاب المرح الجميع .. وشارك الإمبراطور فى الرضا العام وقدم شريط الفروسية للمحتالين كى يضعاه فى عروتيهما ، كما منحهما لقب (السيدان النساجان) .

قضى النصابان الليلة كلها قبل موعد الموكب ، وأوقدا ستة عشر مصباحًا كى يرى الجميع مدة لهفتهما لإنهاء ثياب الإمبراطور الجديدة .

تظاهرا بأنهما يلفان الثوب ليرفعاه عن النول ، وقصا الهواء بمقصيهما وخاطا الثوب بإبرة بلا خيط . وفى النهاية صاحا :

- « ثياب الإمبراطور الجديدة جاهزة ! »

★ ★ ★

الآن جاء الإمبراطور مع كبار بلاطه إلى النساجين ، فرفع النصابان أذرعهما كأنما يحملان شيئًا . وقالا :

- « هو ذا سروال جلالتكم . هو ذا الوشاح .. هى ذى العباءة .. إن الثوب خفيف كنسيج عنكبوت .. قد يتصور المرء أنه لا يضع ثوبًا فوقه ولكن هذه مزية هذا الثوب الرقيق . »

قال رجال البلاط برغم أن احدهم لم ير هذا الثوب الخلاب :

- « نعم .. بالفعل . »

- « لو تفضلتم جلالتكم بخلع ثيابكم .. سوف نضع الثياب الجديدة عليك أمام المرآة .. »

من ثم نزع الإمبراطور ثيابه وتظاهر المحتالان بأنهما يكسوانه بالثياب ، والتفت الإمبراطور من جانب لآخر أمام المرآة .

صاح الجميع :

- « ما أروع مظهر جلالتكم فى الثياب الجديدة ، وكم تناسبكم ! يا له من تصميم .. يا لها من ألوان ! إنها ثياب ملكية بحق . »

قال رئيس المراسم :

- « إن المظلة التى ستظلل جلالتكم فى الموكب بانتظاركم . »

قال الإمبراطور :

- « أنا متأهب .. هل ثيابى الجديدة مناسبة ؟ »

قالها وهو يدور حول المرآة كأنما هو يتفحص الثياب بدقة .

انحنى الوصيفان اللذان كانا سيحملان حاشية جلالته على الأرض ، كأنما هما يرفعان طرفى العباءة ، وتظاهرا بأنهما يحملان شيئًا ، فما كان أحدهما ليكشف عن غبائه أو عدم أهليته لمنصبه .

مشى الإمبراطور تحت مظلته العالية وسط الموكب ، عبر شوارع العاصمة ووقف الناس جميعًا ..

وصرخ من فى النوافذ :

- « آه ! ما أجمل ثياب إمبراطورنا الجديدة ! لشد ما يتدلى هذا الوشاح فى روعة! »

باختصار لم يجسر أحد على الاعتراف بأنه لم ير هذه الثياب ، لأنه لو اعترف بهذا لاعترف كذلك بأنه غبى أو غير جدير بمنصبه . لم يحدث أى ثوب للإمبراطور ما أحدثته هذه الثياب غير المرئية .

قال طفل صغير :

- « لكن الإمبراطور لا يلبس شيئًا ! »

صاح أبوه :

- « أصغوا لصوت البراءة ! »

وسرعان ما تهامس الناس بما قاله الطفل .

فى النهاية صاح الناس :

- « لكنه لا يلبس شيئًا ! »

شعر الإمبراطور بالغيظ .. لأنه كان يعرف أن الناس محقون ، لكنه قرر أن الموكب يجب أن يستمر ! وبذل الوصيفان جهدًا أكبر كى يبدو أنهما يحملان حاشيته ، برغم أنه فى الواقع لم تكن هناك عباءة يمسكان بها .

★ ★ ★

مربى الخنازير

كان هناك أمير فقير لديه مملكة . وكانت مملكته صغيرة جداً لكنها كانت كبيرة بما يكفى للزواج ، وقد كان الأمير يصبو لهذا .

كان من الفظاظة بمكان أن يقول لابنة الإمبراطور : « هل تأخذينني لك ؟ » ، لكنه فعل ذلك ؛ لأنه كان شهيرًا وكانت هناك مائة أميرة يمكن أن تجيب بالموافقة ، وتقول : « شكرًا لك » لكن دعنا نسمع بِمَ أجابته تلك الأميرة .

استمع !

الحكاية أنه حيث دفن والد الأمير ، كانت هناك شجرة ورد .. شجرة ورد رائعة الجمال تزهر مرة كل خمسة أعوام ، وعندها لا تزهر إلا وردة واحدة .. لكن أية وردة !! كانت رائحتها رائعة لدرجة أن كل من يشم عبيرها كان ينسى همومه وآلامه . وبالإضافة لهذا كان لدى الأمير عندليب يمكنه الغناء بطريقة تشعر معها بأن كل الألحان العذبة تحتشد فى حنجرته .

لهذا كان على الأمير أن يتخلى عن شجرة الورد والعندليب .. وكان عليه أن يضعهما فى علبتين فضيتين كبيرتين ويرسلهما إليها .

طلب الإمبراطور أن يجلبا إليه فى القاعة الكبرى ، بينما الأميرة تلعب لعبة (الزيارة) مع سيدات البلاط .. فلما رأت العلبتين والهدايا فيهما صفقت فى جذل .

قالت :

ـ « آه لو لم تكن هذه إلا قطة صغيرة ! »

لكن شجرة الورد بوردتها الجميلة ظهرت للعيان .

صاحت كل سيدات البلاط :

ـ « آه !!!! ما أجمل صنعها ! »

قال الإمبراطور :

ـ « هى أكثر من جميلة .. إنها فاتنة! »

لكن الأميرة لمستها وبدا كأنها موشكة على البكاء .

ـ « يع يا بابا ! إنها غير مصنوعة على الإطلاق .. إنها طبيعية ! »

قال الإمبراطور :

ـ « دعينا نر ما فى العلبة الأخرى قبل أن نتضايق .. »

من ثم خرج العندليب وغنى بصوت رخيم حتى إن أحدًا لم يستطع فى البداية أن يقول شيئًا عنه .

هتفت السيدات :

ـ « سوبيرب ! شارمان ! »

فهن كن معتادات الحديث بالفرنسية .. وقال فارس عجوز :

ـ « هذا العندليب يذكرنى بالصندوق الموسيقى الذى كان عند

إمبراطورتنا رحمها الله ، إنها نفس النغمات ونفس الأداء ! »

قال الإمبراطور :

ـ « نعم .. نعم .. »

وبكى كطفل عندما تذكر زوجته ، فقالت الأميرة :

ـ « ما زلت آمل ألا يكون طائرًا حقيقيًا »

قال من جلبوه :

ـ « بل هو طائر حقيقى .. »

قالت الأميرة :

ـ « إذن دعوه يطير .. »

ثم أبت بإصرار أن ترى الأمير .

لكنه لم يفقد حماسه .. صبغ وجهه باللونين البنى والأسود وجذب القلنسوة على أذنيه ، ثم طرق بابها . وقال :

ـ « نهارك سعيد يا سيدى الإمبراطور .. هل لى أن أجد عملاً فى قصرك ؟ »

قال الإمبراطور :

ـ « نعم حقًا .. أريد من يعنى بالخنازير لأن لدينا الكثير منها .. »

وهكذا تم تعيين الأمير فى وظيفة (راعـى الخنـازير الإمبراطورية) ، وصارت لـه غرفـة قذرة صغيرة جـوار حظيرة الخنـازير . وهنـاك راح يمضى اليوم كلـه يعمـل ، وعند المسـاء صنـع وعـاء طهى صغيرًا جميـلاً . وعلـق أجراسًا صغيرة من حوله ، وحينما كـان الإنـاء يغلى كـانت الأجراس تدق بطريقة خلابة ، وتعزف اللحن القديم :

« واعزيزتى (أوجستين) .. كل شىء ضاع .. ضاع .. ضاع .. »

والأغرب أن من يضع إصبعـه فـى دخـان الوعـاء ، كـان يشم على الفور رائحة الطعام الذى يطهى على كل موقد فى المدينة . كان هذا كما ترى يختلف تمامًا عن الوردة .

تصادف الآن أن الأميرة مشت فى هذا الطريق وحين سمعت اللحن ، وقفت متصلبـة وبدا عليها السرور . لأنها كانت تجيد عزف (واعزيزتى أوجستين) .. كانت تلك هى المقطوعـة الوحيدة التى تستطيع عزفها وكان هذا بإصبع واحدة .

قالت الأميرة :

ـ « هذه مقطوعتى .. لابد أن مربى الخنازير هذا حسن التربية! أدخلوا وسلوه عن ثمن هذه الآلة .. »

من ثم يجب أن تدخل إحدى نساء البلاط إليه ، لكن لابـد أولاً من أن تضع فى قدميها خفًا خشبيًا ، وسألته :

ـ « ماذا تريد مقابل وعاء الطهى ؟ »

قال مربى الخنازير :

ـ « سآخذ عشر قبلات من الأميرة .. »

ـ « آه .. حقًا .. »

ـ « لن أتخلى عنه بثمن أقل من هذا .. »

قالت الأميرة :

ـ « إنه لشخص وقح ! »

ثم واصلت طريقها ، لكن مـا إن ابتعـدت حتـى رنـت الأجراس بصوت عذب :

« واعزيزتى (أوجستين) .. كل شىء ضاع .. ضاع .. ضاع .. »

قالت الأميرة :

ـ « انتظرى .. سليه إن كان يقبل عشر قبلات من سيدات البلاط .. »

قال مربى الخنازير :

ـ « لا شكرًا .. عشر قبلات من الأميرة أو أحتفظ بوعاء الطهى .. »

قالت الأميرة :

ـ « هذا لن يكون .. لكن هلا وقفتن أمامى حتى لا يرانا أحد ؟ »

هكذا وقفت سيدات البلاط أمامها وفردن ثيابهن ، وهكذا نال المربى عشر قبلات .

كان هذا جميلاً .. لقد ظل الوعاء يغلى طيلة الليل واليوم التالى . هكذا عرفا ما يطهى على كل نار فى المدينة ، من دار حاجب الملك إلى بيت الإسكافى ، وراحت نساء البلاط يرقصن ويصفقن .

ـ « نحن الآن نعرف من لديه حساء ومن أعد كعكًا للعشاء .. من سيطهو (الكستليتة) ومن سيطهو بيضًا .. ما أمتع هذا ! »

أما مربى الخنازير ـ أعنى الأمير لأن أحدًا لم يعرف عنه إلا أنه مربى خنازير ـ فلم يترك يومًا دون عمل . فى النهاية صنع (شخشيخة) حينما تهزها تسمع كل موسيقا الفالس والجيج التى سمعها الناس منذ خلق العالم .

قالت الأميرة حينما مرت بالمكان :

ـ « هذا رائع ! لم أسمع قط موسيقا بهذا الجمال ..

ادخلن واسألنه عن ثمن هذه الأداة لكن تذكرن : لا مزيد من القبلات .. »

عادت المرأة التى دخلت لتسأل قائلة لها :

ـ « يريد مائة قبلة من الأميرة ! »

قالت الأميرة :

ـ « أحسبه ليس بكامل قواه العقلية .. »

ثم واصلت طريقها ، لكن ما أن ابتعدت حتى توقفت وقالت :

ـ « على المرء أن يشجع الفن .. فأنا ابنة الإمبراطور .. قلن له إن بوسعه أخذ عشر قبلات منى والباقى من سيدات البلاط .. »

قلن :

ـ « آه .. لكننا لا نحب هذا البتة .. »

سألتهن :

ـ « فيم تغمغمن ؟ لو استطعت أنا أن أقبله فهذا بوسعكن .. تذكرن أنكن مدينات لى بكل شىء .. »

لهذا اضطرت النسوة إلى الدخول .

قال المربى :

ـ « مائة قبلة من الأميرة وإلا فلتبق كل واحدة قبلاتها لنفسها .. »

قالت للنسوة :

ـ « قفن من حولنا .. »

ومن جديد تكرر ما حدث .

قال الإمبراطور :

ـ « ما سر هذا الزحام حول حظيرة الخنازير ؟ »

كان قد خرج من الشرفة صدفة ، وفرك عينيه ووضع عويناته .

ـ « إنهن نساء البلاط .. سأذهب لأرى ما هنالك .. »

فما إن وصل إلى الساحة مشى بسرعة ، وكانت النسوة منهمكات بعدّ القبلات حتى يتأكدن من أمانة الصفقة حتى إنهن لم يشعرن بقدوم الملك . لقد وقف على أطراف أصابع قدميه .

وحينما رأى ما يدور صاح :

ـ « ما هذا ؟ »

وصفع أذن الأميرة بخفّه ، بينما مربى الخنازير يتلقى القبلة السادسة والثمانين .

جن جنون الإمبراطور وصاح :

ـ « ابتعدا ! »

وطرد الأميرة ومربى الخنازير من المدينة .

وقفت الأميرة وبكت فانهمر المطر :

ـ « واحسرتاه ! يا لى من مخلوقة تعسة ! لو تزوجت فقط ذلك الأمير الوسيم ! يا لتعاستى ! »

دخل مربى الخنازير وراء شجرة ، وأزال الألوان عن وجهه وتخلص من ثيابه القذرة ، ثم خرج بثيابه الأميرية ، فبدا نبيلاً حتى إن الأميرة لم تستطع ألا تنحنى له .

قال لها :

ـ « جئت كى أحقر من شأنك .. لن تظفرى بأمير كريم .. فأنت لم تستطيعى معرفة القيمة الحقيقية للوردة ولا العندليب .. لكنك رضيت أن تقبلى مربى خنازير من أجل ألعاب تافهة بلا قيمة .. لقد نلت جزاءك .. »

ثم عاد لمملكته الصغيرة وأوصد باب قصره فى وجهها .

الآن صار بوسعها أن تغنى :

ـ « واعزيزتى (أوجستين) .. كل شىء ضاع .. ضاع .. ضاع !! »

* * *

الأميـرة الحقيقية

كان هناك أمير تمنى أن يتزوج أميرة ، لكـن كـان عليها أن تكون أميرة حقيقية . سـافر عبر العـالم يبحث عن تلـك السيدة ، لكن فى كل مرة كان يجد شيئًا على غير ما يرام . لقد قابل أميرات كثيرات لكنه لم يستطع قط أن يحـدد مـا إذا كن حقيقيات . فى كل مـرة يجد شيئًا خطأ هنـا أو هنـاك بصددهن ، وفى النهاية عـاد لقصره محبطًا لأنه كان يتمنـى فعلاً أن يقابل أميرة حقيقية لتكون زوجته .

ذات ليلة هبت عاصفة مخيفة ، ودوى الرعـد مع الـبرق وانهمر المطر من السماء كالطوفان . بالإضافة لهذا كـان الظلام دامسًا . فجأة دوت طرقات عنيفة على الباب ، فاتجه أبو الأمير نفسه ـ الملك العجوز ـ ليفتح الباب .

كانت تلك أميرة تقف على الباب . كانت فى حالة مؤسية وسط الأمطـار والريـح والمـاء يتساقط مـن شعرها ، وقـد التصقت ثيابها بجسدها . وقالت إنها أميرة حقيقية .

فكرت الملكة العجوز :

ـ « حسن .. سنرى هذا حالاً ! »

إلا إنها لم تفصح عما كانت تنتويه ، لكنهـا دخلت غرفـة النـوم فـى صمـت ، ورفعت كـل الأغطيـة عـن الفـراش ، ووضعت ثلاث حبات من البازلاء على الحشية ، ثم وضعـت عشرين مرتبة واحدة فوق الأخرى على حبـات البـازلاء ، ووضعت عشرين وسادة محشوة بالريش فوق المراتب .

إن على الأميرة أن تقضى ليلتها على هذا الفراش .

فى الصباح سألوها عن ليلتها ، فأجابت :

ـ « آه ! كان نومًا سيئًا حقًا .. لم أكد أغلق عينى طيلـة الليل . لا أعرف ما يوجد تحتى لكنى شعرت بشىء صلب .. لقـد امتلأ جسدى بالأزرق والأسود .. لقد آذانى هذا كثيرًا ! »

الآن صار واضحًا أن الفتاة أميرة حقيقية . لأنها شـعرت بالحبات الثلاث عبر العشرين مرتبة والعشرين وسادة . لا يمكن إلا لأميرة حقيقية أن تملك هذا الحس المرهف بالألم .

نتيجة لهذا تزوجها الأمير ، وقـد اقتنـع بأنهـا أميرة حقيقيـة . وتم وضع ثلاث حبات البازلاء فى خزانة للغرائـب حيث مـا زال بوسعك أن تراها ما لم تكن قد ضاعت .

ألم تكن هذه الفتاة رقيقة بحق وحقيق ؟

* * *

الحذاء الأحمر

كانت هناك فتاة صغيرة جميلة رقيقة ، لكنها كانت مرغمة على أن تجرى حافية القدمين فى الصيف ، فقد كانت فقيرة للغاية . وفى الشتاء كانت تلبس حذاءين خشبيين كبيرين مما كان يجعل مشطى قدميها أحمرين .. وكان هذا خطرًا بحق .

فى وسط القرية كانت تعيش السيدة الإسكافية العجوز . كانت تجلس وتخيط ـ على قدر وسعها ـ زوجًا من الأحذية من قطعتى قماش أحمر قديم ، وكان منظرهما يفتقر للمهارة ، لكنها كانت فكرة كريمة . كانت تصنعهما للفتاة الصغيرة . وكان اسم الفتاة الصغيرة (كارين) .

يوم أن دفنت أمها تلقت الفتاة الحذاء الأحمر ، فارتدته لأول مرة . لم يكن مناسبًا للحداد لكن لم يكن لديها سواه ، وقد مشت خلف النعش وقدماها بلا جوربين .

فجأة ظهرت عربة كبيرة قديمة تجلس بها سيدة ضخمة ، ونظرت إلى الفتاة وشعرت بالشفقة عليها ، فقالت للقس :

ـ « هات لى هذه الفتاة الصغيرة . أنا سوف أتبناها! »

وقد حسبت (كارين) أن هذا حدث بسبب الحذاء الأحمر ، لكن السيدة العجوز رأت أنه بشع . إلا أن (كارين) نفسها كانت نظيفة حسنة الهندام ، وكان عليها أن تتعلم القراءة والتطريز ، وقال الناس إنها شىء صغير لطيف لكن المرآة قالت لها :

ـ « أنت لست لطيفة فحسب .. أنت جميلة! »

الآن كانت الملكة مسافرة على الطريق ، وكانت ابنتها الصغيرة معها . وكانت هذه الابنة أميرة .. اندفع الناس نحو القلعة وكانت (كارين) هناك إذ وقفت الأميرة فى ثوب أبيض جميل فى النافذة ، وجعلت الكل يرونها . لم تكن تلبس عباءة طويلة ولا تاجا .. لكنها كانت تنتعل حذاءين مغربيين رائعين . كانا بالتأكيد أروع بمراحل من هذين اللذين صنعتهما الإسكافية لـ (كارين) . لا شىء فى العالم يمكن مقارنته بهما .

لقد صارت (كارين) الآن فى سن مناسبة للعماد . لديها ثياب جديدة وسوف تظفر بحذاء جديد . لقد أخذت الإسكافية الثرية فى المدينة قياس قدميها الصغيرتين . تم هذا فى منزلها وفى غرفتها حيث توجد صناديق زجاجية كبيرة فيها أحذية أنيقة . كل هذا كان رائعًا لكن السيدة العجوز لم تكن ترى جيدًا لهذا لم تهتم بهذه الأشياء .

وسط الأحذية كان حذاء أحمر كالذى كانت الأميرة تلبسه . يا لجماله ! قالت الإسكافية إنه كان مخصصًا لابنة كونت لكن القياس لم يكن صحيحًا .

قالت السيدة العجوز :

ـ « لابد أن هذا جلد أصلى .. هذا البريق يدل على ذلك! »

قالت (كارين) :

ـ « نعم .. يلمع ! »

وكان القياسِ صحيحًا وتم شراء الحذاء لكن العجوز لم تعرف شيئًا عن لونه الأحمر ، وإلا ما كانت لتسمح لـ (كارين) بالذهاب بحذاء احمر إلى العماد . لكن هذا ما حدث . راح الناس جميعًا ينظرون إلى قدميها . وحينما دخلت من باب المذبح إلى الكنيسة بدا لها كأن تلك الأشكال القديمة على القبور ، وصور الوعاظ القدامى وزوجاتهم ذوات المعاطف الطويلة السود ، ينظرون لقدميها فى ثبات .

وضع القس يده على رأسها وتكلم عن العماد المقدس وميثاق الرب ، وأصدر الأرغن نغمة حزينة رنانة . هنا غنى الأطفال بصوتهم العذب ، وغنى المنشدون كبار السن ، لكن (كارين) كانت تفكر فقط فى حذائها الأحمر .

بعد الظهيرة سمعت السيدة العجوز من الجميع أن الحذاء كان أحمر ، فقالت إن هذا خطأ كبير من (كارين) ، وإن هذا ما كان ليناسبها وعليها فى المستقبل ألا تلبس فى الكنيسة إلا حذاء أسودًا ..

يوم الأحد التالى كانت هناك مراسم تناول فى الكنيسة ، ونظرت (كارين) للحذاء الأسود ثم الأحمر .. وفى النهاية انتعلت الحذاء الأحمر .

راحت الشمس تتألق فى جلال بينما (كارين) والسيدة العجوز يمشيان فى الممر وسط حقل القمح .. كان الغبار كثيرًا هناك .

وعلى باب الكنيسة وقف جندى عجوز يمسك بعكاز ، وله لحية طويلة رائعة لونها أحمر أكثر منه أبيض ، وانحنى سائلاً السيدةَ العجوز إن كانت تسمح له بتنفيض حذاءيها . فمدت (كارين) قدمها الصغيرة .

قال الجندى :

ـ « انظرى ما أجمل حذاء الرقص هذا ! إنه ثابت فى قدميك حينما ترقصين! »

ووضع يده على أسفل حذائها .

أعطته السيدة العجوز حسنة ودخلت الكنيسة مع (كارين) .

راح كل الناس فى الكنيسة ينظرون إلى حذاءى (كارين) الأحمرين ، وإذ وقفت أمام المحراب لترفع الكأس إلى شفتيها كان عقلها منشغلاً بحذائها الأحمر . نسيت أن تنشد تراتيمها ونسيت أن تصلى .

خرج الجميع من الكنيسة وركبت العجوز عربتها ، ورفعت (كارين) قدمها لتركب بعدها حينما قال الجندي :

ـ « انظرى ما أجمل حذاءى الرقص هذين ! »

فلم تستطع (كارين) المقاومة .. وجدت نفسها ترقص كأن الحذاء له سيطرة على قدميها . رقصت حول ركن الكنيسة ، ولم تستطع الانصراف حتى اضطر الحوذى إلى أن يركض ويمسك بها ، ووضعها فى العربة . لكن قدميها ظلتا ترقصان .. فى النهاية خلعت الحذاء فعاد لقدميها السلام .

وضع الحذاءان فى خزانة فى البيت ، لكن (كارين) لم تستطع إبعاد عينيها عنهما .

مرضت السيدة العجوز ، وقيل إنها لن تشفى . كان لابد أن يتم تمريضها ورعايتها ، وكانت (كارين) خير من يصلح لهذا . لكن أقيم حفل راقص كبير فى المدينة دعيت له

(كارين) . نظرت إلى العجوز التى لن تشفى ونظرت إلى الحذاء الأحمر وقررت أن الأمر لن يكون خطيئة . هكذا انتعلت الحذاء الأحمر وذهبت إلى الحفل .

لكن كلما أرادت أن ترقص إلى اليمين كان الحذاء يرقص إلى اليسار ، وحينما تتجه لليسار يتجه الحذاء لليمين ، فإذا أرادت أن تجتاز القاعة مشى الحذاء للخلف ، إلى الشارع ، وخارج بوابة المدينة . وهكذا اضطرت أن ترقص فى الغابة الكئيبة .

وفجأة أضيئت الأشجار .. وخطر لها أن هذا القمر بالتأكيد . لكن كان هذا الجندى العجوز بلحيته الحمراء . لقد وقف هنالك وهز رأسه وقال :

ـ « انظرى .. ما أجمله من حذاء راقص ! »

أصابها الرعب وأرادت أن تطوح بالحذاء الأحمر ، لكنه تمسك بقدميها . ورقصت .. يجب أن ترقص .. وسط الحقول وفى المروج .. تحت المطر وفى ضوء الشمس .. فى الليل والنهار . وكان الأكثر فزعًا أنها رقصت فى باحة الكنيسة ليلاً لكن الموتى لم يشاركوها الرقص . كان لديهم ما هو أفضل ليفعلوه .

تمنت لو جلست ، لتستريح على قبر فقير حيث تنمو أعشاب (حشيشة الشتاء) . لكنها لم تنل الراحة ولا السلام . وحينما دنت من باب الكنيسة رأت ملاكًا يقف هناك . كان يلبس عباءة

طويلة بيضاء وله جناحان يمتدان من كتفيه إلى الأرض . كان وجهه صارمًا جادًا وفى يده سيف عريض براق .

ـ « سوف ترقصين » ـ كذا قال لها ـ « فى حذائك الأحمر حتى يعتريك الشحوب والبرد ! حتى يتغضن جلدك وتصيرى هيكلاً عظميًا ! سوف ترقصين من باب لباب وحيث يعيش الأطفال المغرورون التافهون تطرقين الأبواب ، فيسمعونك ويرتجفون ! سوف ترقصين! »

صرخت (كارين) :

ـ « الرحمة ! »

لكنها لم تسمع رد الملاك ، لأن الحذاء حملها إلى الحقول ، وعبر الطرق والجسور ، وطيلة الوقت كان عليها أن ترقص .

ذات صباح رقصت أمام باب تعرفه جيدًا . من الداخل سمعت ترنيمة ، وخرج تابوت مزين بالزهور . عندها عرفت أن العجوز قد ماتت وشعرت بأنها منبوذة تمامًا . لكنها ظلت ترقص طيلة الليل الكئيب . حملها الحذاء فوق الصخور فتمزق جلدها ونزفت . رقصت عبر المرج حتى بلغت بيتًا صغيراً . هنا كان يعيش الجلاد كما تعرف ، وقد قرعت بأصابعها على النافذة ، وصاحت :

ـ « اخرج ! فأنا لا أستطيع الدخول .. أنا مرغمة على الرقص .. »

قال الجلاد :

ـ « افترض أنك لا تعرفين من أنا ؟ أنا أطيح برءوس الأشقياء بفأسى .. »

قالت (كارين) :

ـ « لا تقطع رأسى .. هكذا لن أستطيع التوبة عن خطاياى ! لكن اقطع قدمى فى الحذاء الأحمر ! »

واعترفت له بخطاياها ، فقطع الجلاد ساقيها بالحذاءين الأحمرين ، لكن الساقين راحتا ترقصان بالحذاءين متجهتين نحو أعماق الغابة .

نحت للفتاة ساقين خشبيتين وعكازين ، وعلمها الترانيم التى ينشدها المجرمون فقبلت يده التى تحمل الفأس واتجهت نحو المرج .

قالت :

ـ « لقد عانيت الكثير بسبب هذا الحذاء الأحمر . الآن سأذهب إلى الكنيسة حيث يرانى الناس .. »

وأسرعت نحو باب الكنيسة ، لكن حينما اقتربت راح الحذاء الأحمر يرقص أمامها . فأصابها الهلع وعادت .

ظلت تعسة طيلة الأسبوع وبكت دموعًا مريرة ، لكن حينما جاء الأحد من جديد قالت :

- « حسن .. الآن قد عانيت وقاومت كثيراً .. أؤمن أننى طيبة كأى واحدة أخرى تجلس فى الكنيسة ، وترفع رأسها عاليًا ! »

اتجهت بشجاعة ، لكنها لم تكد تقترب من باب الكنيسة حتى رأت الحذاء يرقص أمامها ، فأصابها الهلع وعادت ، وندمت على ذنوبها من قلبها .

ذهبت إلى بيت الكاهن وطلبت أن يقبلوها خادمة . وقالت إنها ستكون مفيدة جدًا ، ولسوف تقوم بأى عمل بوسعها . لم تهتم بالراتب فقط أرادت مأوى وأن تكون مع أناس طيبين . رقت لها زوجة الكاهن فأخذتها للخدمة فكانت نشيطة ذكية . وكانت تجلس ساكنة تصغى كلما قرأ الكاهن الكتاب المقدس مساءً ، وأحبها كل الأطفال .

يوم الأحد التالى عندما استعدت الأسرة للذهاب إلى الكنيسة ، سألوها إن كانت ترغب فى الذهاب معهم . لكنها نظرت لعكازيها فى حسرة والدموع فى عينيها . دخلت غرفتها التى لم تتسع قط إلا لفراش ومقعد . جلست ممسكة بكتاب الصلوات وراحت تقرأ بعقل تقى . حملت الريح أنغام الأرغن لها فرفعت رأسها باكية وقالت :

- « آه يا رب .. ساعدنى .. »

أشرقت الشمس وأمامها وقف الملاك بثيابه البيض . ذلك الذى رأته ليلاً على باب الكنيسة . لكنه لم يحمل السيف بل حمل غصنًا أخضر جميلاً ازدان بالأزهار . مس السقف بالغصن فارتفع . وتألق نجم ذهبى فى الموضع الذى لمس فيه الجدار . مس الجدران فاتسعت ورأت الأرغن الذى كان يعزف وصور الوعاظ وزوجاتهم . لقد جلس الحشد فى مقاعد مبطنة وأنشد الجميع من كتب صلواتهم . لقد جاءت الكنيسة نفسها للفتاة البائسة فى غرفتها الضيقة ، أو ذهبت هى إلى الكنيسة . جلست مع أسرة الكاهن وحينما انتهت الترانيم ورفعوا رءوسهم أومئوا لها وقالوا :

- « أحسنت إذ جئت .. »

قالت :

- « بل هى رحمة من الله ! »

ودوت نغمات الأرغن ، وتعالى صوت الأطفال عذبًا ناعمًا . ودخل ضوء الشمس من النافذة دافئًا إلى حيث جلست . امتلأ قلبها بنور الشمس والسلام والحبور حتى إنه تحطم . طارت روحها تلحق بالضياء وهناك لم يسألها أحد عن الحذاء الأحمر .

* * *

بائعة الثقاب الصغيرة

باردًا بشكل شنيع كان الجو .. لقد تساقط الجليد .. وكان الظلام شبه دامس .. والليلة آخر ليلة فى العام . وفى وسط هذا البرد والظلام مضت فى الشارع فتاة صغيرة فقيرة ، عارية الرأس حافية القدمين . كانت تلبس خفين عندما غادرت منزلها .. هذا حق .. لكن ما فائدتهما ؟ كانا كبيرين جدًا لأنهما كانا يخصان أمها . كانا كبيرين جدًا وقد فقدتهما المخلوقة التعسة وهى تمشى عبر الشارع بسبب عربتين مسرعتين .

لم تجد الخف الأول أما الآخر فقد تلقفه متسكع وجرى به . فكر أنه سيصلح مهدًا لطفل لو رزق بواحد يومًا ما . لذا مشت الفتاة الصغيرة بقدميها العاريتين اللتين احمرتا وازرقتا من البرد . كانت تحمل بعض الثقاب فى مريولة قديمة ، وتحمل حزمة منها فى يدها . لم يشتر أحد شيئًا طيلة اليوم ، ولم يعطها أحد ربع بنس واحدًا .

انحنت على نفسها ترتجف بردًا وجوعًا .. صورة مجسمة للأسف .. يا للمسكينة الصغيرة !

غطت رقائق الجليد شعرها الأشقر الذى كان ينحدر فى تجاعيد جميلة حول عنقها . لكنها لم تفكر فى هذا الآن . من النوافذ كانت الشموع تضىء وثمة رائحة لذيذة تذكرك بالإوز المشوى .. لأن هذا كان رأس السنة .. نعم .. فكرت فى هذا .

وفى ركن بين منزلين يبرز أحدهما للأمام أكثر ، جلست وانكمشت على نفسها . ضمت قدميها الصغيرتين عليها ، لكنها ازدادت بردًا . ولم تجسر على العودة للبيت ، لأنها لم تبع أى ثقاب ولم تحصل على ربع بنس . سوف يضربها أبوها والجو فى البيت بارد كذلك ؛ لأنه ما من شىء سوى السقف فوقها .. السقف الذى تصفر الريح عبره ، برغم أنهم سدوا الشقوق الواسعة بالقش .

كانت يداها الصغيرتان قد فقدتا الإحساس من البرد . ربما يقدر لهب ثقاب على إعطائها بعض الراحة ، فقط لو تجاسرت على أن تأخذ واحدًا من الحزمة وتحكه فى الحائط وتدفئ أناملها به .. سحبت واحدًا ..

(ريشت !) .. يا للمتعة ! ويا لروعة احتراقه ! كان لهبًا لامعًا دافئًا كالشمعة ، وهى تضع يدها عليه . وللحظة خيل إليها أنها تجلس أمام موقد كبير حديدى مزدان بالنحاس البراق . لقد التهبت النار معطية تأثيرًا سحريًا .. ومدت الفتاة قدميها لتدفئهما كذلك ، لكن اللهب انطفأ .. وتلاشى الموقد . لم يبق إلا بقايا الثقاب فى يدها .

حكت عودًا آخر فى الجدار فالتهب متوهجًا .. وإذ سقط نوره على الجدار بدا الجدار شفافًا كالخمار .. حتى أمكنها أن ترى ما بداخل الغرفة ، وعلى المنضدة كان شرشف أبيض كالثلج ،

عليه طاقم مائدة من الخزف ، والإوزة المشوية يتصاعد منها البخار ، وهى محشوة بالتفاح والبرقوق المجفف . أما الأهم فهو أن الإوزة وثبت من الطبق ، وركضت على الأرض بشوكة وسكين فى صدرها ، حتى وصلت إلى الفتاة البائسة . هنا انطفأ الثقاب ، ولم يعد سوى الجدار الرطب السميك .. أشعلت عودًا آخر .. الآن هى واقفة تحت أجمل شجرة كريسماس . كانت أكبر وأجمل من أية شجرة رأتها من قبل فى واجهة محل التاجر .

آلاف الأضواء تلتمع على الغصون الخضر ، مع صور مبهرة الألوان كالتى كانت تراها فى نوافذ المتجر تنظر لها . مدت الفتاة يديها نحوها حينما انطفأ العود .

هنا ارتفعت أضواء شجرة عيد الميلاد لأعلى وأعلى .. ورأتها كالنجوم فى السماء .. سقط أحدها راسمًا أثرًا من النار .
قالت الفتاة الصغيرة :

ـ « أحدهم قد مات .. »

لأن جدتها ـ الشخص الوحيد الذى أحبته ـ والتى ماتت منذ زمن قالت لها إن روحًا تصعد إلى بارئها إذا هوى نجم .

حكت عودًا آخر بالجدار ، ومن جديد رأت الضوء .. وهناك كانت تقف جدتها .. متألقة لامعة .. وعلى وجهها تعبير حب فائق ..

صاحت الصغيرة :

ـ « جدتى ! خذينى معك ! أنت ترحلين كلما انطفأ العود .. تختفين كالفرن الدافئ .. كالإوزة المشوية الشهية .. كشجرة عيد الميلاد الفاتنة .. »

وحكّت حزمة الأعواد بسرعة على الجدار ، لأنها أرادت أن تستبقى جدتها معها . توهجت الأعواد ببريق مبهر أكثر سطوعًا من الظهيرة ، فلم تر جدتها من قبل أكثر بهاءً ولا طولاً . احتضنت الجدة الصغيرة وحلقتا سعيدتين لأعلى . لأعلى .. فوق البرد والجوع والخوف .. لقد لحقتا بخالقهما ..

لكن فى ساعة الفجر الباردة ، وفى الركن .. جلست الفتاة البائسة بخدين متوردتين وفم باسم منحنية على الجدار ، وقد ماتت متجمدةً فى آخر ليلةً من العام المنصرم . متصلبة متخشبة جلست الطفلة هناك بأعواد ثقابها ، التى احترقت حزمة منها .

وقال الناس :

ـ « أرادت أن تدفئ نفسها .. »

ولم يشك أحد فى الأشياء الجميلة التى رأتها .. ولم يحلم أحد بالروعة التى دخلت بها ـ مع جدتها ـ مباهج عام جديد .

* * *

الصبى الشقى

منذ زمن بعيد عاش شاعر عجوز .. شاعر عجوز طيب القلب . كان يجلس ذات ليلةً فى غرفته ، حينما هبت عاصفةً مريعةً بالخارج ، وتساقط المطر من السماء لكنه جلس شاعرًا بالدفء والراحة فى ركن المدفأة حيث تتوهج النار ويصدر التفاح هسيسًا أثناء شيه .

قال الشاعر المسن الطيب :

ـ « هؤلاء الذين لا سقف فوق رءوسهم سوف يبتلون حتى الجلود .. »

فجأة صاح طفل وقف يبكى على الباب :

ـ « آه .. دعنى أدخل ! أنا بردان .. أنا مبتل ! »

قالها وهو يقرع الباب طالبًا الدخول ، بينما المطر ينهمر والريح تجعل النوافذ تتخبط .

ـ « يا للصغير البائس ! »

قالها الشاعر وهرع يفتح الباب . هناك وقف صبى صغير عار تمامًا وقد انثال الماء من شعره الذهبىِ الطويل ، وكان يرجف بردًا ولو لم يدخل الغرفة الدافئة حالا فلسوف يهلك فى العاصفةً المخيفة .

ـ « يا للصغير البائس ! »

قالها الشاعر العجوز وهو يأخذ الصبى من يده ، وقال له :

ـ « تعال .. تعال .. سوف أعيدك للحياة حالاً ! سوف أعطيك الشراب والتفاح المشوى فأنت طفل ساحر بحق .. »

وكان الصبى كذلك فعلاً .. عيناه كانتا كنجمين لامعين ، وكان شعره يتلوى فى موجات جميلة برغم بلله ، فبدا بالضبط كملاك برغم شحوبه الشديد وقد راح جسده يرتجف . كان هناك قوس صغير لطيف فى يده ، لكن المطر أتلفه .

أجلس الشاعر نفسه بجوار مدفأته ووضع الصغير على حجره ، واعتصر الماء من شعره ودفأ يديه فى يديه . وأعد له شرابًا دافئًا .. ثم أفاق الصبى وتورد خداه .. ونهض ليرقص حول الشاعر العجوز .

قال الشاعر :

ـ « أنت شاب لطيف .. ما اسمك ؟ »

أجاب الصبى :

ـ « اسمى (كيوبيد)(*) .. ألا تعرفنى ؟ هذا قوسى حسن التصويب .. أؤكد لك هذا .. أنظر ! الجو يصفو والقمر يلتمع صافيًا عبر النوافذ .. »

(*) فى الأساطير اليونانية أن « كيوبيد » ـ هو إله الحب ـ إن رمى القلب بسهم ذهبى وقع فى الحب وإذا رماه بسهم رصاصى كره أول من يراه .

قال الشاعر :

ـ « لكن قوسك قد تلف فعلاً .. »

قال الصبي :

ـ « كان هذا محزنًا .. »

وتناول القوس بين يديه وتفحصه : ـ « أوه .. لقد جف ثانية .. ولم يتضرر .. الوتر مشدود تمامًا .. سأجربه .. »

ثم ثنى رأسه وصوب .. وأطلق سهمًا على الشاعر العجوز فى قلبه . وضحك وقال :

ـ « ترى أن القوس لم يتلف .. »

ثم جرى بعيدًا ..

يا للفتى الشقى ! إذ يطلق السهم على الشاعر العجوز الذى استضافه فى غرفته الدافئة . والذى عامله برقة والذى أعطاه شرابًا دافئًا وتفاحًا شهيًا ..

رقد الشاعر على الأرض وبكى ؛ لأن السهم اخترق قلبه حقًا ..

قال :

ـ « أف ! ما أشقى (كيوبيد) هذا ! سأحكى لكل الأطفال عنه حتى لا يلعبوا معه أبدًا .. لأنه لن يجلب لهم إلا الأسى وألم القلب .. »

أخذ كل الأطفال الذين سمعوا القصة حذرهم من (كيوبيد) ، لكنه سخر منهم لأنه كان ماكرًا .. حينما يعود طلبة الجامعة من المحاضرات يجرى جوارهم فى معطف أسود وكتاب تحت إبطه . من المستحيل عليهم أن يعرفوه . ثم فجأة يصوب سهمًا لصدورهم ، وحينما تعود الفتيات من الدرس يكون خلفهن . إنه يتبع الناس دومًا .. وفى المسرح يجلس فى الشمعدان الكبير ويحترق باللهب من ثم يحسبه الناس لهبًا .. ثم سرعان ما يكتشفون أنه شىء آخر . إنه يمرح فى حدائق القصر وخلف الأسوار العالية . نعم .. لقد أصاب أباك وأمك ذات مرة فى القلب مباشرة .. سلهما فقط وسوف يخبرانك ..

إنه صبى شقى .. هذا الكيوبيد .. لا شىء بوسعك أن تعمله .. إنه يركض خلف الجميع أبدًا .. فقط فكر فى أنه صوب سهامه ذات مرة إلى قلب جدتك ! كان هذا منذ زمن سحيق .. لكنها لن تنسى هذا أبدًا .. أف ! (كيوبيد) الشقى ! لكنك الآن تعرفه وتعرف كذلك كم هو سيىء السلوك !

* * *

الياقة المستعارة

ذات مرة كان هناك سيد مهذب لا يملك إلا مشط شعر و(لبيسة) للأحذية ذات الرقبة ، لكن كانت لديه أفضل ياقات مستعارة فى العالم ، وعن واحدة من تلك الياقات سنسمع قصتنا الآن .

كان الطقس باردًا حتى إن الياقة بدأت تفكر فى الزواج ، وتصادف أن تم غسلها مع ربطة ساق .

قالت الياقة :

ـ « كلا .. لم أر شيئًا بهذه الرقة من قبل .. ناعمة وأنيقة .. هل لى أن أعرف اسمك؟ »

قالت ربطة الساق :

ـ « هذا لن أقوله .. »

سألته الياقة :

ـ « أين تعيش ؟ »

لكن ربطة الساق كانت خجولاً متواضعة ، ورأت أن هذا سؤال غريب .

قالت الياقة :

ـ « أنت مشد بالتأكيد .. أى أنك مشد داخلى .. أرى أنك تصلحين للاستعمال والزينة يا عزيزتى .. »

قالت ربطة الساق :

ـ « سأشكرك لو كففت عن الكلام معى . فأنا لا أرى مناسبة لذلك .. »

قالت الياقة :

ـ « نعم .. عندما يكون شخص جميلٌ مثلك .. هذه مناسبة كافية .. »

قالت ربطة الساق :

ـ « لا تدن منى .. أتوسل لك .. أنت تبدو مثل هؤلاء الرجال .. »

ـ « أنا أيضًا رجل مهذب راقٍ .. عندى لبيسة أحذية ومشط .. »

لكن هذا لم يكن حقيقيًا ؛ لأنها كانت أشياء تخص سيده ، لكنه كان يبالغ .

قالت ربطة الساق :

ـ « لا تدن منى .. أنا لم أعتد هذا .. »

ـ « يا لك من محتشمة .. »

قالتها الياقة ، ثم حملوها إلى حوض الغسيل .. تمت تنشيتها وعلقت على ظهر مقعد فى الشمس ، ثم تم وضعها على بطانية الكى وجاءت المكواة الحديدية . صاحت الياقة :

ـ « سيدتى العزيزة ! سيدتى الأرملة العزيزة ! أشعر بالحر ! أنا أتغير .. أشعر بأننى أنثنى .. سوف تحدثين حرقًا فىَّ ! »

قالت المكواة :

ـ « خرقة ! »

ومشت فوق الياقة فى فخر .. لأنها تصورت نفسها قاطرة تمشى على الخط الحديدى وتجر العربات .

كانت الياقة منبعجة عند حافتها ، لذا جاء مقص عملاق ليقطع جزءًا منها فقالت الياقة : « أوه ! أنت تصلح لتكون خير راقص فى الأوبرا .. ما أبرعك فى فرد ساقيك .. هذا أفضل أداء رأيته .. لا أحد يمكنه تقليدك .. »

قال المقص :

ـ « أعرف هذا .. »

ـ « تستحق أن تكون بارونًا .. كل ما لدى هو سيد مهذب ولبيسة ومشط .. لو كنت بارونًا كذلك ! »

هنا قطعها المقص لأنه كان متضايقًا ..

قالت الياقة :

ـ « يجب أن أسأل المشط .. من المدهش قدرتك على الحفاظ على أسنانك يا آنسة .. ألم تفكرى فى الخطبة قط ؟ »

قال المشط :

ـ « طبعًا .. ثق فى هذا .. أنا مخطوبة للبيسة الأحذية ! »

هتفت الياقة :

ـ « مخطوبة ! »

هكذا لم يعد هناك من يطلب يدها . لذا شعر بالضيق .

مر وقت طويل ثم ذهبت الياقة لصندوق الخرق فى مصنع الورق . هناك كانت خرق كثيرة وقد وضعت الخرق الخشنة معًا والناعمة معًا . صمت الجميع لكن الياقة استمرت فى المباهاة .

قالت الياقة :

ـ « لدى عدد هائل من الحبيبات .. لا يمكن أن أعيش فى سلام .. صحيح أننى كنت دومًا سيدًا مهذبًا .. كان عليكم أن ترونى وقتها .. لن أنسى أبدًا حبى الأول .. كانت مشدًا رقيقًا .. ناعمًا .. لقد ألقت بنفسها فى حوض ماء من أجلى ! كانت هناك أرملة توهجت من حرارة العاطفة لكنى تركتها حتى اسود لونها ثانية ، وكانت هناك راقصة أوبرا حادة الطباع ! لقد أحبنى مشط شعر .. وقد فقد أسنانه من عذاب الفؤاد .. نعم .. رأيت هذه الأشياء فى حياتى .. لكننى حزين من أجل ربطة الساق .. أعنى المشد الذى ألقى بنفسه فى الماء من أجلى .. هذا عبء على ضميرى .. أريد أن أصير ورقًا أبيض .. »

وهكذا صار .. تحولت كل الخرق إلى ورق أبيض . لكن الياقة صارت هذا الورق الأبيض الجميل الذى تراه هنا ، والذى طبعت عليه هذه القصة ، لأنها تباهت كثيرًا . علينا أن نتعلم ألا نتصرف بهذه الطريقة ، فلربما انتهى بنا الأمر إلى صندوق الخرق ونصير ورقًا أبيض ، ثم تطبع قصة حياتنا عليها بأدق أسرارها . مثلما حدث لهذه الياقة .

* * *

شجرة الشربين

وسط الأحراش وقفت شجرة شربين لطيفة جميلة ، كان موضعها جميلاً حقًا تسطع الشمس عليه ، مع ما يكفى من هواء عليل .. وحولها كانت رفيقات أكبر حجمًا .. أشجار شربين وصنوبر ، لكنها تمنت كثيرًا لو تصير شجرة بالغة .

لم تهتم بالشمس الساطعة ، ولم تهتم بأطفال الأكواخ إذ يجرون حولها ، ويثرثرون وهم فى الغابة يجمعون التوت البرى . كان الأطفال يأتون حاملين إبريقًا مليئًا بالتوت ، ويجلسون حول الشجرة ويقولون :

ـ « ما أجملها ! يا لها من شجرة شربين صغيرة ! »

لكن كان هذا بالذات ما لا تطيق الشجرة سماعه !

بعد عام نمت قدرًا لا بأس به .. وبعد عام آخر صارت أطول .. إن أشجار الشربين يمكن معرفة عمرها من أغصانها .

تنهدت وقالت :

ـ « آه لو كنت شجرة كبيرة كالأخريات ! عندها كنت أفرد غصونى لأرى العالم الواسع ! ولكانت الطيور تبنى أعشاشها بين غصونى ، وحين يهب النسيم أنثنى فى فخامة كالأخريات ! »

لم تمنحها الشمس ولا الطيور ولا السحب الحمر التى حركها الصباح والليل فوقها .. لم يمنحها هذا أية سعادة .

فى الشتاء عندما يكسو الجليد الأرض يأتى أرنب واثبًا ، ويثب فوق الشجرة ، آه ! هذا كان يضايقها بشدة . لكن مر شتاءان ، وفى الثالث كبرت الشجرة بحيث اضطر الأرنب للدوران من حولها .

فكرت الشجرة :

ـ « أنا أكبر وأكبر .. وأشيخ وأستطيل .. هذا هو أجمل شىء فى العالم .. »

فى الخريف جاء الحطابون وقطعوا بعضًا من الأشجار الكبيرة ، وكان هذا يحدث كل عام . وكانت الشجرة الصغيرة ترتجف كلما رأت هذا المنظر ، لأن الأشجار العملاقة الرائعة كانت تهوى أرضًا محدثة صخبًا وقعقعة ، ثم تقطع الأغصان فتبدو الأشجار عارية طويلة يصعب تعرفها . ثم تجرها الخيول من الغابة .

إلى أين تذهبن ؟ إلام ستصرن ؟

وفى الخريف حينما تأتى طيور السنونو وطيور اللقلق تسألهم الشجرة :

ـ « ألا تعرفون لأين أخذن ؟ ألم تلقوهن ؟ »

لكن السنونو لم يكن يعرف شيئًا عن هذا ، أما اللقلق فقد هز رأسه مفكرًا وقال :

ـ « حسن .. أعتقد أننى أعرف .. كنت أطير عائدًا من مصر ورأيت سفنًا عديدة ، وعليها صوار عظيمة .. وأعتقد أنه كانت لها رائحة الشربين .. لى أن أهنئك فإن هذه الأشجار ارتفعت فى السماء بروعة حقيقية ! »

ـ « آه .. لو كنت كبيرة بما يكفى لأحلق عبر البحر ! لكن كيف يبدو البحر فى الحقيقة ؟ »

قال اللقلق :

ـ « إن شرح هذا يستغرق وقتًا كبيرًا .. »

ومع هذه الكلمات حلق بعيدًا .

قالت أشعة الشمس :

ـ « فلتبتهجى بنموك .. فلتبتهجى بنموك الحثيث .. والحياة الطازجة التى تتحرك فيك !! »

ولثمت الريح الشجرة ، وذرف الندى دموعه عليها ، لكن شجرة الشربين لم تفهم هذا .

عندما جاء الكريسماس قطعت أشجار صغيرة كثيرة ، وهى شجيرات كانت فى حجم أو عمر شجرة الشربين هذه . كانت هذه الأشجار الأجمل وقد حوفظ على أغصانها ووضعت على عربات وسحبتها الخيول خارج الغابة .

سألت الشجرة :

ـ « إلى أين هى ذاهبة ؟ هذه الأشجار ليست أطول منى .. بل هناك واحدة أقصر .. ولماذا يحتفظن بغصونهن ؟ إلى أين ؟ »

شقشقت العصافير :

ـ « نحن نعلم .. نحن نعلم ! قد اختلسنا النظر عبر النوافذ ! نحن نعرف لأين ذهبن .. إن أعظم مجد وأروع بهاء ينتظرهن ! قد اختلسنا النظر عبر النوافذ ، ورأيناهن مزروعات فى وسط غرفة دافئة وقد تزيَّن بأروع الأشياء .. تفاح مذهب وكعك الزنجبيل والألعاب ومئات الأضواء ! »

ـ « وبعدها ؟ »

كذا سألت الشجرة وهى ترتجف .

ـ « لم نر أكثر من هذا .. كان جميلاً بدرجة لا تقارن ! »

صاحت الشجرة فى بهجة :

ـ « ليتنى أحظى بهذا الاختيار .. إنه أجمل من عبور البحر .. يا لعذابى ! أنا الآن طويلة وغصونى تنتشر كالأخريات اللاتى أخذن العام الماضى .. ليت العربة تحملنى .. ليتنى أجد نفسى فى تلك الغرفة الدافئة ذات البهاء ! وعندها سيحدث شىء أروع .. شىء أجمل من هذا كله وإلا فلماذا زينونى ؟ لكم أتعذب ! ماذا دهانى ؟ أنا لم أعد أعرف نفسى ! »

قال الهواء وأشعة الشمس :

ـ « ابتهجى بوجودنا ! ابتهجى بشبابك الغض ! »

لكن الشجرة لم تبتهج .. لقد نمت ونمت .. وصارت خضراء طيلة الشتاء والصيف .. وقال من رأوها :

ـ « ما أجملها شجرة ! »

وفى الكريسماس كانت من أوائل الشجرات التى قطعت .. لقد اخترق الفأس لحاءها عميقًا .. فسقطت على الأرض متنهدة .. شعرت كأنما هى قد فقدت الوعى .. لم تستطع التفكير فى السعادة ؛ لأنها حزنت لفراق موطنها .. عرفت أنها لن ترى زميلاتها العزيزات ولا الغصون والأزهار حولها .. ولا حتى الطيور ! لم يكن الرحيل محببًا على الإطلاق .

استعادت وعيها حينما تم إنزالها فى فناء مع الأخريات ، وسمعت رجلاً يقول :

ـ « هذه رائعة ! لا حاجة بنا للأخريات .. »

وجاء خادمان فى طيلسان فخيم وحملاها إلى مرسم واسع . كانت هناك صور على الجدران وقرب الموقد الخزفى كانت مزهريتان رسمت عليهما أسود . كان هناك شيزلونج كبير وأريكة مكسوة بالحرير ومناضد عليها كتب صور وألعاب ..

وتم تثبيت الشجرة فى أصيص ملىء بالرمال .. لكن لم يخمن أحد أنه أصيص ؛ لأنه كان مزركشًا بقماش أخضر . ماذا سيحدث ؟

إن الخادمين وسيدات يزخرفونها ، وعلى غصونها ثبتوا شبكة مليئة بالسكاكر .. وعلى غصون أخرى ثبتوا التفاح المذهب والجوز كأنها نبتت هناك . ثم علقوا الدمى بين الأوراق وفى القمة ثبتوا نجمًا من القصدير الذهبى . كان هذا مذهلاً .. مذهلاً بما يفوق الوصف !

قالوا جميعًا :

ـ « هذه الليلة ! لكم ستتألق هذه الليلة ! »

فكرت الشجرة :

ـ « آه لو يأتى الليل ! لو تشتعل الشموع ! أتساءل عما سيحدث .. ربما تأتى الأشجار الأخرى من الغابة لترانى ! ربما تضرب العصافير على زجاج النوافذ .. أتساءل إن كنت سأغرس جذورى هنا وأقف شتاء وصيفًا مزينة ! »

كانت تعرف الكثير عن الموضوع ، لكنها كانت نافدة الصبر حتى آلمها ظهرها .. وهذا يشبه الصداع بالنسبة لنا .

أشعلت الشموع .. يا للوهج ! يا للعظمة !! وارتجفت الشجرة حتى إن أحد الفروع اشتعل بالنار .

صرخت الشابات :

ـ « الغوث ! الغوث ! »

ورحن يطفئن النار بسرعة .

هكذا لم تجسر الشجرة على الارتجاف .. كانت قلقة خشية أن تفقد شيئًا من روعتها .. هنا انفتح الباب الدوار واندفع حشد من الأطفال كأنهم يريدون تدمير الشجرة . وصمتوا قليلاً ، ثم بدءوا فى الصراخ حتى ردد المكان كله صراخهم ، ورقصوا حول النار وأخذ كل منهم هدية تلو أخرى .

فكرت الشجرة :

ـ « ماذا يزمعون ؟ ماذا سيحدث الآن ؟ »

هنا بدأت الأضواء تنطفئ الواحد تلو الآخر ، وراح واحد تلو آخر يسطو على الشجرة . لقد انهالوا عليها بعنف حتى أن أغصانها طقطقت .. ولو لم تثبت جيدًا فى الأرض لانهارت ، راح الأطفال يرقصون بألعابهم ولم ينظر أحد للشجرة باستثناء المربية العجوز التى زحفت بين الأغصان فقط لتتأكد إن كانت هناك تينة أو تفاحة منسية .

صاح الأطفال :

ـ « قصة ! قصة ! »

وشدُّوا رجلاً بدينًا نحو الشجرة . جلس تحتها وقال :

ـ « الآن نحن فى الظل وبوسع الشجرة أن تسمع معنا .. لكنى سأحكى فقط قصة واحدة .. ماذا تريدون ؟ قصة (همبى دمبى) الذى هوى من فوق الدرج وبرغم هذا عاد للعرش ، وتزوَّج الأميرة أم قصة (إيفيدى أفيدى) ؟ »

صاح البعض طالبين (إيفيدى أفيدى) والبعض (همبى دمبى) .. دوى الصراخ ، لكن الشجرة ظلت صامتة وفكرت فى نفسها :

ـ « هل ليس مطلوبٌ منى أى شىء على الإطلاق ؟ »

حكى لهم الرجل قصة (همبى دمبى) الذى سقط ثم صعد إلى العرش وتزوج الأميرة . صفق الأطفال وصاحوا :

ـ « هلم .. استمر .. استمر .. »

أرادوا سماع قصة (إيفيدى أفيدى) لكن الرجل اكتفى بقصة (همبى دمبى) . وقفت الشجرة ساكنة تفكر ؛ فالطيور لم تحك لها عن شىء كهذا قط . قالت لنفسها : إن (همبى دمبى) هوى من فوق الدرج وبرغم هذا عاد للعرش وتزوج الأميرة .. نعم .. لابد أن الحياة هكذا .. صدقت الأمر ؛ لأن الرجل الذى كان يحكى القصة كان وسيمًا ، وتمنت ثانية أن تتزين بالأنوار والألعاب والفاكهة .

قالت لنفسها :

ـ « غدًا سأسمع قصة (همبى دمبى) ثانية وربما قصة (إيفيدى أفيدى) كذلك .. »

فى الصباح جاء الخادم والخادمة ، فقالت لنفسها :

ـ « ستعود الروعة من جديد ! »

لكنهما سحباها خارج الغرفة ، وعبر الدرج إلى ركن مظلم حيث لا ضوء تركاها .

فكرت الشجرة :

ـ « ما معنى هذا ؟ ماذا أفعل هنا ؟ ماذا سأسمع الآن ؟ وانحنت على الجدار تائهة فى أحلام اليقظة . وكان عندها متسع من الوقت لهذا ، لأن الأيام والشهور مرت دون أن يأتي أحد . وحينما جاء أحدهم أخيرًا كان هذا ليضع بعض الحقائب الكبيرة فى ركن . هكذا وقفت الشجرة مختبئة وبدت كأنها نسيت تمامًا .

فكرت :

ـ « إنه الشتاء الآن .. الأرض صلبة يغطيها الثلج .. لا يستطيع الناس غرسى الآن .. لذا وضعونى هنا حتى يأتى الربيع .. ما أعمق تفكيرهم ! ما أطيب البشر برغم كل شىء ! فقط لو لم يكن كل هذا الظلام هنا .. وكل هذه الوحدة ! لا يوجد حتى أرنب برى .. والغابات جميلة حينما يغطيها الثلج .. وحينما يثب الأرنب .. نعم .. حتى لو وثب فوقى .. لكنى لم أحب هذا وقتها .. »

سكويك .. سكويك ! صوت فأر صغير ، أخرج رأسه من جحره ، ثم جاء آخر صغير .. تشمموا الشجرة وعبثوا بأغصانها .

قال الفأر :

ـ « برد شديد .. لهذا سيكون البقاء هنا أفضل .. شجرة شربين عجوز .. أليس كذلك ؟ »

قالت الشجرة :

ـ « أنا لست عجوزًا .. هناك كثيرون أسن منى .. »

سألها الفأر :

ـ « من أين جئت ؟ وماذا بوسعك عمله ؟ »

كانا فضوليين للغاية ..

ـ « أخبرينا عن أجمل بقاع الأرض .. هل ذهبت هناك ؟ هل رأيت مخزن الطعام حيث يضعون الجبن على أرفف ؟ ويعلقون لحم الفخذ من أعلى .. وحيث يرقص المرء على شموع الشحم .. المكان الذى يدخله المرء نحيلاً ويخرج بدينًا مكتنزًا ؟ »

قالت الشجرة :

ـ « لا أعرف موضعًا كهذا .. لكنى أعرف الغابة حيث تسطع الشمس وتغرد الطيور .. »

ثم حكت عن شبابها فلم تسمع الفئران شيئًا كهذا .. وقالا لها :

ـ « حقًا .. ما أكثر ما رأيت وما أسعدك ! »

قالت الشجرة :

ـ « أنا ؟ فى الحقيقة كانت تلك أيام سعد .. »

وحكت لهم قصة الكريسماس وكيف زينوها بالشموع فقال فأر :

ـ « يا لك من محظوظة يا شجرة الشربين العجوز ! »

ـ « أنا لست عجوزًا ! لقد جئت هذا الشتاء فقط .. أنا فى عنفوان شبابى .. بل إننى أقصر من عمرى .. »

وفى الليلة التالية جاء الفأران مع أربعة آخرين ليسمعوا حكاياتها . فكلما حكت أكثر كلما تذكرت نفسها وبدا لها أن تلك الأيام كانت سعيدة حقًا ..

ـ « لكنها ستعود .. ستعود .. (هامبى دامبى) سقط على الدرج لكنه تزوج الأميرة ! »

سألها الفأر :

ـ « من هو (هامبى دامبى) ؟ »

فحكت له القصة كلها ؛ لأنها تذكر كل حرف فيها ، ووثب الفأر سعادة إلى قمة الشجرة ، وفى الليلة التالية جاء فأران جديدان . ويوم الأحد جاء اثنان آخران لكنهما قالا إن القصة ليست مسلية . وقد ضايق هذا الفئران الصغيرة ، وبدأت ترى أن القصة ليست مسلية إلى هذا الحد .

سألتها الفئران :

ـ « هل تعرفين قصة أخرى ؟ »

أجابت الشجرة :

ـ « فقط هذه .. سمعتها فى أسعد ليالى .. لكنى لم أعرف مدى سعادتى وقتها .. »

ـ « قصة غبية جدًا .. ألا تعرفين قصة عن شموع الشحم ولحم الخنزير المقدد ؟ أليست لديك قصص عن مخزن الطعام ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « إذن الوداع .. »

وانصرفت الفئران ، وحتى الفأر الصغير ابتعد كذلك فى النهاية فتنهدت الشجرة :

ـ « برغم كل شىء كنت مستمتعة حينما كانت الفئران الصغيرة تلتف حولى .. انتهى هذا الآن .. لكننى سأسلى نفسى جيدًا عندما أعود للحياة .. »

لكن متى يحدث هذا ؟

ذات صباح جاء كمٌ من الناس يعملون فى ذلك الركن ، ورفعت الحقائب وجذبوها للخارج وقذفوا بها بعنف إلى الأرض . لكن رجلاً جرها نحو الدرج حيث تسطع الشمس . هنا فكرت :

ـ « الآن تعود الحياة السعيدة من جديد .. »

شعرت بالهواء النقى وأشعة الشمس الأولى .. إنها الآن فى الفناء .. كل شىء مر بسرعة .

كانت هناك حركة كثيرة من حولها ، لقد كان فى الفناء حديقة وكلها أزهار ، وكانت الأزهار نضرة عطرة فوق الترابزين . وكان الزيزفون مزهرًا وطيور السنونو تحلق وتقول :

ـ « كوير فيت .. زوجى قد جاء ! »

لكن شجرة الشربين لم تفهم ما يقال . قالت لنفسها :

ـ « الآن سأستمتع بالحياة .. »

وفردت غصونها .. لكن واحسرتاه ! كانت جميعًا مصفرة ذابلة .. كانت فى ركن بين الأعشاب والنجم الذهبى ما زال معلقًا فيها يلمع فى الشمس .

وفى الفناء كان بعض الأطفال يلعبون ، وهم من الذين كانوا يرقصون حول الشجرة ، وقد سرتهم رؤيتها . جرى أحدهم واقتطع النجمة الذهبية منها . وقال :

ـ « انظروا ما ظل معلقًا بهذه الشجرة القبيحة العجوز! »

قالها وهو يدوس على الأغصان فراحت تتقصف تحت قدميه .

ورأت الشجرة حالها ، فودت لو ظلت فى الركن المظلم تذكرت صباها فى الغابة وفى شجرة عيد الميلاد الجميلة ، والفئران الصغيرة التى أصغت سعيدة لقصة (هامبى دامبى) .

قالت الشجرة المسكينة :

ـ « انتهى هذا .. إنه ماض ! ليتنى ابتهجت حينما كانت هناك فرصة لذلك .. لكن الآن .. إنه ماض ! »

وجاء صبى الجناينى ليقطع الشجرة إلى قطع صغيرة ، حتى صارت كومة كاملة هناك . واشتعلت جيدًا تحت نار القدر النحاسى ، وتنهدت بعمق . فكانت كل تنهيدة كطلقة نار .

لعب الأطفال فى الفناء ، وقد لبس أحدهم على صدره النجم الذهبى الذى كان فخر الشجرة فى حياتها . على كل حال .. لقد انتهى الأمر .. ذهبت الشجرة ، وانتهت القصة . فكل قصة لابد أن تنتهى يومًا ما .

* * *

أحلام (تاك) الصغير

آه .. نعم ! كان هذا (تاك) الصغير .. فى الحقيقة لم يكن اسمه (تاك) لكنه الاسم الذى أطلقه على نفسه قبل أن يتعلم الكلام ، وكان يعنى بهذا (تشارلز) . يكفيك أن تعرف هذا . كان عليه أن يعنى بأخته (أوجستا) التى كانت أصغر منه ، وكان يدرس كذلك لكن هذين الأمرين لا يصلحان معًا .

كان الصبى المسكين الصغير يجلس بأخته فى حجرة ، وهو يغنى لها الأغانى التى يعرفها ومن آن لآخر يلقى نظرة على كتاب الجغرافيا المفتوح أمامه . وفى الصباح التالى يكون عليه أن يتذكر كل المدن فى (زيلاند) غيبًا ، وأن يعرف عنها كل ما هو ممكن .

الآن عادت أمه ؛ فقد كانت بالخارج ، وأخذت (أوجستا) الصغيرة بين ذراعيها . جرى (تاك) إلى النافذة وراح يقرأ فى لهفة حتى كادت عيناه تتلفان . لقد كان الظلام يشتد ويشتد لكن أمه لم تملك ما يكفى لشراء شمع .

قالت الأم وهى تنظر خارج النافذة :

- « هى ذى الغسالة العجوز فى طريقها .. البائسة لا تكاد تستطيع جر نفسها .. وعليها أن تجر الدلو من النافورة . كن فتى طيبًا يا (تاكى) وساعد العجوز .. هلا فعلت ذلك ؟ »

لذا جرى (تاك) سريعًا وعاونها ، لكن حين عاد كان الظلام دامسًا ، ولم يكن هناك أمل فى ضوء .. عليه الآن أن يأوى للفراش الذى كان مجرد حشية مقلوبة . رقد فيه وهو يفكر فى درس الجغرافيا وفى (زيلاند)(*) وكل ما قاله له أستاذه . كان عليه أن يقرأ الدرس ثانية لكن هذا مستحيل كما تعرف .

وضع الكتاب تحت الوسادة ؛ لأنه سمع أن هذه طريقة ممتازة لحفظ الدروس ، لكن ليس بوسع المرء الاعتماد عليها كلية . هناك رقد وفكر وفكر .. ثم نام لكنه لم ينم .. بدا كأنما الغسالة العجوز تنظر له بعينيها الحانيتين وتقول :

- « إنها لخطيئة أن تجهل درسك صباح غد . لقد ساعدتنى ولذا سأساعدك .. وسيعاونك الله فى كل وقت . »

وفجأة بدأ الكتاب تحت وسادته يحدث صوت خدش وكشط .

(كيكرى كى ! كلوك كلوك !) .. كانت هذه دجاجة عجوز جاءت زاحفة ، وكانت من (كيوجى)(**) . وقالت :

(★) زيلاند أكبر جزر الدانمرك وفيها تقع العاصمة (كوبنهاجن) .. طبعًا سميت (نيوزيلندا) نسبة لها ..

(★★) كيوجى بلدة على خليج (كيوجى) . وقعت معركة هناك عام ١٨٠٧ بين القوات البريطانية الغازية والجيش الدنمركى غير المنظم. وتعبير (رؤية دجاجة من كيوجى) يشبه فى الدنمركية تعبير (أن ترى الطفل لندن) فى الإنجليزية ، وهو ما يعنى أن تضم رأسه بين كفيك وترفعه !

- « أنا دجاجة (كيوجية) .. »

وحكت الكثير عن المكان والمعركة التى وقعت هناك ، والتى لم تكن تستحق الكلام عنها .

- « كريبلدى كرابلدى بلام ! »

وسقط شىء على الأرض .. كان هذا طائرًا من خشب .. التمثال الذى يستعملونه فى مباريات الرماية فى (براستو) . وكان فخورًا بنفسه وقال :

- « (ثوفالدسن)(*) جارى .. إن بابه جوار بابى.. »

لكن (تاك) لم يعد نائمًا .. فجأة وجد أنه على ظهر حصان ، راح يعدو بأقصى سرعة .. كان هناك فارس يضع ريشة لامعة ويلبس ثيابًا فاخرة ، يحمله أمامه على حصانه ، وينطلق عبر الغابات نحو مدينة (بوردنجبورج)(**) القديمة . وكانت مدينة كبيرة مليئة بالحياة . كانت الأبراج ترتفع من قلعة الملك ، وتألقت شموع عديدة من كل النوافذ ، وفى الداخل كان الرقص والغناء ، وكان الملك (فالديمار) يرقص مع وصيفات الشرف الشابات ذوات الثياب الفاخرة . جاء الصباح الآن ، فما إن بزغت الشمس حتى تفتتت المدينة وقصر الملك .. وهوت الأبراج

(★) نحات دنمركى شهير ..

(★★) البلدة حقيقية وكانت فيها قلعة عظيمة فى عهد الملك المذكور ، ثم لم يبق منها إلا برج .

فلم يبق إلا برج واحد حيث كانت القلعة . صارت البلدة فقيرة صغيرة ، وجاء التلاميذ حاملين كتبهم وقالوا :

ـ « هناك ٢٠٠٠ نسمة .. »

لكن هذا لم يكن صحيحًا ؛ لأنه لم يبق الكثير ..

ورقد (تاكى) فى فراشه شاعرًا بأنه كان يحلم ، لكنه فى الوقت ذاته يشعر بأن هذا لم يكن حلمًا .. وشعر بمن يقف جواره .

صاح أحدهم :

ـ « (تاكى) الصغير .. (تاكى) الصغير ! »

كان هذا بحارًا صغير الحجم يبدو كضابط بحرى ، لكنه لم يكن كذلك .

ـ « تحياتى من (كورسور)(*) .. إنها بلدة بدأ شأنها يعلو .. مدينة مليئة بالحيوية فيها سفن بخارية وعربات مسافرين .. فى الماضى اعتبرها الناس قبيحة لكن هذا لم يعد صحيحًا .. إن لدىّ طرقًا سريعة وحدائق .. وقد أنجبت شاعرًا ذكيًا مرحًا ، وهو فى هذا يختلف عن الشعراء .. ذات مرة أردت أن أجهز سفينة تجوب العالم ، لكنى لم أفعل .. برغم أن هذا كان بوسعى .. أضف لهذا أننى أشم جيدًا .. أشم تلك الزهور العطرة جوار البوابة .. »

(*) مدينة ساحلية اعتاد المسافرون أن يطلقوا عليها (أكثر المدن قلقًا) ، لأنهم كانوا ينتظرون فيها طويلاً حتى تهب ريح مواتية ، وكان هذا قبل اختراع السفن البخارية !

نظر (تاك) فرأى الكثير من الأحمر والأخضر أمام عينيه ، لكن ما إن زال ارتباك الألوان ، حتى رأى منحدرًا من خشب جوار الساحل وفوقه كنيسة رائعة قديمة لها برجان مدببان عاليان . وعبر المرتفعات اندفعت نافورات تقذف الماء بغزارة .. وجوارها جلس ملك قديم يلبس تاجًا ذهبيًا على رأسه الشائب . كان هذا هو الملك (هروار)(*) قرب مدينة (رويسكيلده) كما نسميها الآن . وفوق المنحدر مشى كل ملوك وملكات الدانمرك نحو الكنيسة ، متشابكى الأيدى وراح الأرغن يعزف والنافورة تصدر حفيفًا . لقد رأى (تاك) الصغير كل شىء وسمع كل شىء ..

قال الملك (هروار) :

ـ « لا تنس المجلس التشريعى .. »

ثم اختفى كل شىء .. لأين ؟ بدا له كأنما المرء قد قلب صفحة فى كتاب . الآن تقف فلاحة عجوز جاءت من (سوربى)(**) حيث ينمو العشب فى السوق . كانت ترتدى منزرًا قطنيًا رماديًا على رأسها وكان مبتلاً جدًا .. لابد أن السماء كانت تمطر ..

(*) يومًا ما كانت رويسلنده هى عاصمة الدانمرك .. دفن فيها كل ملوك الدانمرك القدامى ، وفيها كان أعضاء المجلس التشريعى يجتمعون .

(**) مدينة صغيرة هادئة تحيط بها الغابات والبحيرات ، (هولبرج) كاتب ساخر دانمركى يشبه (موليير) عند الفرنسيين نشأ فيها مدرسة لأبناء النبلاء .

قالت :

ـ « هو كذلك فعلاً .. »

وحكت له قصصًا ممتعة من كوميديات (هولبرج) .. وحكت له عن (فالديمار) و(أبسالون) ، ثم فجأة انكمشت وراح رأسها يتأرجح وفجأة صارت ضفدعًا . وقالت (كروك !) ثم عادت امرأة عجوزًا ..

قالت :

ـ « على المرء أن يلبس ما يناسب الطقس .. إنه مطير .. مطير .. مدينتى تشبه زجاجة يدخلها المرء من عنقها .. وعليك أن تغادرها من عنقها ثانية ! فى الماضى كان لدى أفضل سمك ، والآن صار عندى صبية متوردو الخدود فى قاع الزجاجة ، يتعلمون الحكمة واللغات العبرية واليونانية .. كروك ! »

كان كلامها يذكرك بنقيق الضفادع ، وكأنك تمشى فى أرض موحلة بحذاء ذى عنق .. نفس الإيقاع الرتيب حتى أن (تاك) غرق فى النعاس ولا لوم عليه .

لكن أثناء نومه رأى حلمًا ـ أو ليكن ما يكون ـ فيه أخته (أوجستا) بعينيها الزرقاوين وشعرها الأشقر المجعد صارت فتاة فارعة حسناء وبرغم أنها بلا جناحين فقد وسعها الطيران .. والآن كانت تحلق فوق (زيلاند) . فوق الغابات الخضر والبحيرات الزرق .

ـ « هل تسمع الديك يا (تاكى) ؟ كوك آ دودل دو .. الديكة

تطير من (كيوجى) ! سيكون عندك فناء مزرعة كبير .. كبير جدًا ! لن تشعر بجوع ولا ظمأ .. سوف تجوب العالم .. ستكون رجلاً ثريًا سعيدًا .. سيرفع منزلك شأنه كأنه برج الملك (فالديمار) ، وسوف يزدان بالتماثيل الرخامية مثلما فى (برلستو) . أنت تفهم ما أغنيه .. سوف يجوب لسمك العالم .. »

قال الملك (هروار) :

ـ « لا تنس المجلس التشريعى .. عندها سوف يكون كلامك حكيمًا يا (تاكى) الصغير .. وحينما تغيب فى النهاية فى قبرك ، سوف تنعم بنوم هادئ .. »

قال (تاك) وهو يصحو :

ـ « كأننى أصحو فى (سورو) .. »

كان يومًا مشرقًا وقد صار من الصعب عليه أن يسترجع تفاصيل حلمه . لكن هذا لم يكن مهمًا .. فالمرء لا يعرف ما قد يجلبه الغد . ومن الفراش وثب وقد صار فجأة يتذكر الدرس . ظهر رأس الغسالة العجوز من الباب وهزت رأسها بمودة له وقالت :

ـ « شكرًا .. شكرًا جزيلاً يا طفلى الجميل لعونك .. فليحقق لك الله أحلامك الحبيبة ! »

لم يدر (تاك) الصغير قط ما حلم به ، لكن الله تعالى يعلم .

* * *

الظـــــل

إنما تحرق الشمس حقًّا فى الأراضى الحارة ! هناك يصير لون الناس بنيًا كالماهوجنى .. أجل .. وفى الأراضى الأكثر حرًا يحترقون ليصيروا زنوجًا . لكن الآن قد جاء رجل مثقف من أرض باردة قاصدًا الأراضى الحارة . وقد حسب أنه يستطيع أن يعيش كما فى وطنه ، لكن اتضح أنه مخطئ .

كان عليه ـ ككل الأشخاص الحساسين ـ أن يبقى داخل الدور .. الشيش والأبواب مغلقة طيلة اليوم .. فبدا كأنما البيت كله نائم أو لا أحد فيه .

كان الشارع الضيق ذو البيوت العالية مصممًا بحيث يسقط ضوء الشمس عليه من الصباح حتى المساء ، ولم يكن ممكنًا تحمله .

كان الرجل المثقف القادم من البلاد الباردة شابًا ويبدو أنه بارع .. وقد جلس فى الفرن الموقد فصار ضامر الجسد . حتى إن ظله انكمش لأن الشمس أثرت فيه . فلم يستعد عافيته إلا قرب الغروب عندما تغيب الشمس .

فى تلك الأراضى الدافئة توجد شرفة لكل نافذة ، ويخرج كل الناس فى الشرفات . لأنه لابد للمرء من هواء حتى لو كان قد اعتاد لون الماهوجنى(*) . خرج كل الحلاقين والإسكافيين والآخرين من متاجرهم ووضعوا المناضد والمقاعد وأشعلوا الشموع .. نعم .. أكثر من ألف ضوء يتوهج . بينما يتكلم أحدهم ويغنى آخر . يمشى الناس وتدق أجراس الكنائس ، وتمضى البغال محدثة صوت (دينجل دينجل دونج) ، لأنها هى الأخرى كانت تعلق الأجراس . أطفال الشوارع يصرخون ويصرخون .. قاذفين مفرقعاتهم الصغيرة ، ثم يأتى حملة الجثة ولابسو غطاء الرأس فى جنازة مارة ، وهم ينشدون الترانيم . ثم تتعالى جلبة العربات المسافرة .. نعم .. فى الحقيقة كان الشارع مفعمًا بالحيوية .

فقط فى ذلك المنزل المواجه لذلك الذى يقيم فيه الأجنبى ، كان السكون تامًّا . لكن كان أحدهم يسكن هناك ، لأنه كانت هناك أزهار فى الشرفة وكانت تنمو جيدًا فى ضوء الشمس . لكن ما كان بوسعها أن تنمو لو لم يقم أحد بريها .. فلابد أن هناك أحدًا .

(*) فى الدانمركية العامية تعنى لفظة (ماهوجنى) الشىء الرقيق الجميل ..

كان الباب يفتح في ساعة متأخرة من الليل لكن كان البيت بالداخل مظلمًا . على الأقل بالنسبة للغرفة الأمامية . أضف لهذا أنك تسمع صوت الموسيقا .. وخطر للأجنبي المثقف أن هذا رائع .. لكن لربما تخيل ما يسمعه .. كان يحب كل شيء في الأرض الدافئة فقط لو لم تكن هناك شمس . قال صاحب البيت الذي يقيم فيه الأجنبي إنه لا يعرف من يعيش في البيت المواجه . لم ير أحد شخصًا هناك ، وبالنسبة له كان يرى أن الموسيقا مزعجة بحق .

- « كأن شخصًا يجلس هناك ، ويتدرب على مقطوعة موسيقية ليس بوسعه إجادتها .. دائمًا نفس المقطوعة .. إنه يقول : سوف أجيدها ! لكنه لا يستطيع مهما أطال العزف .. »

ذات ليلة صحا الغريب .. كان قد نام والشرفة مفتوحة ، فارتفع الستار بفعل الريح وخيل إليه أن وهجًا غامضًا جاء من بيت جاره ، وأضيئت الأزهار كالشموع بألوان مبهرة ، ووسطها وقفت عذراء رقيقة رشيقة كأنها تضيء بدورها . لقد آذى الضوء عينيه فعلاً .

فتح عينيه بقوة .. نعم .. إنه متيقظ .. بوثبة واحدة صار على الأرض وزحف خلف الستار لكن العذراء كانت قد

اختفت .. لم تعد الأزهار تسطع لكنها ظلت في مكانها نضرة كما كانت دومًا . كان الباب المواجه له مفتوحًا ومن الداخل كانت الموسيقا ناعمة مبهجة .. يمكنك أن تذوب في الأفكار البهيجة التي تسببها . كان هذا سحرًا ..

من يعيش هناك ؟ أين المدخل الرئيس ؟

ذات ليلة جلس الغريب في الشرفة ، والضوء يتوهج في الغرفة من خلفه . لذا كان من الطبيعي أن يسقط ظله على جدار جاره . نعم .. إنه يراه بين الأزهار في الشرفة وحينما تحرك تحرك الظل كما هي العادة .

قال لنفسه :

- « أعتقد أن ظلي هو الشيء الوحيد الحي الذي يمكن أن تراه هناك .. ما أجمل جلسته العاقلة بين الأزهار .. إن الباب نصف مفتوح .. لو كان الظل ماكرًا واسع الحيلة لتسلل إلى الحجرة ليلقي نظرة ثم يعود ليخبرني بما رآه .. هلم ! كن ذا نفع .. واسد لي هذه الخدمة ! »

وأردف مازحًا :

- « كن كريمًا وادخل .. ألن تفعل ؟ »

ثم هز رأسه للظل فهز الظل رأسه .. قال :

ـ « حسن .. ادخل إذن .. لكن لا تبق طويلاً .. »

ثم نهض الغريب فنهض ظله على شرفة الجار .. واستدار فاستدار الظل ..

لكن لو أن أحدًا نظر بعناية لرأى أن الظل دخل من باب الشرفة نصف الموارب بمجرد أن دخل الغريب غرفته ، وترك الستار يسقط خلفه .

فى الصباح التالى خرج الرجل المثقف ليحتسى القهوة ويقرأ الصحف .

خرج فى الشمس فقال :

ـ « ماذا جرى ؟ ليس لى ظل ! لقد ذهب بالفعل ليلة أمس ولم يعد ! هذا متعب حقًا ! »

ضايقه هذا .. ليس لأن الظل ذهب ولكن لأن هناك قصة عن رجل بلا ظل(*) .. فى وطنه يعرفها الكل ولو عاد لوطنه وحكاها لاعتقد الناس أنه يقلد تلك القصة .. لهذا لن يستطيع أن يحكيها وهذا قرار حكيم ..

(*) هناك قصة للكاتب (بيتر شليميل) اسمها (رجل بلا ظل) .. عندنا فى مصر رواية الأستاذ فتحى غانم (الرجل الذى فقد ظله) وإن كان موضوعها مختلفًا طبعًا !

فى المساء خرج إلى الشرفة وتأكد أن الضوء خلفه لأنه توقع أن الظل سيبحث عن سيده ، لكن هذا لم يجذبه . لم يعد هناك أى ظل .. قال :

ـ « إحم .. إحم .. »

لكن هذا لم يجد .

كان هذا يثير الغيظ ، لكن فى الأراضى الدافئة ينمو كل شىء بسرعة .. وبعد ثمانية أيام لاحظ لفرحته أن ظلاً جديدًا بدأ يظهر . خلال ثلاثة أسابيع صار له ظل معقول .. ولدى عودته إلى الشمال تضخم ظله وازداد حتى صار أكثر من الكفاية .

عاد الرجل المثقف للوطن وكتب كتبًا عما هو حقيقى فى " عما هو جميل وعما هو طيب . ومرت أيام فأعوام .. نعم .. أعوام كثيرة مرت به .

ذات ليلة كان وحده فى غرفته عندما سمع طرقات لطيفة على الباب .

قال :

ـ « تعال ! »

لكن لم يدخل أحد .. لذا فتح الباب وأمامه وقف رجل نحيل للغاية حتى بدا منظره غريبًا . وكان متأنقًا بشدة فلابد أنه سيد مهذب . فسأله :

ـ « مع من أحظى بشرف الكلام ؟ »

قال الرجل :

ـ « نعم .. فكرت فى هذا .. فكرت فى أنك لن تعرفنى .. لقد صار لدى جسد وعلى ثياب ولحم . ألا تعرف ظلك القديم ؟ لابد أنك حسبتنى لن أعود أبدًا .. لقد صارت الأمور على ما يرام منذ كنت معك .. لقد أحسنت لى الحياة .. فهل لى أن أشترى حريتى ؟ لو كان هذا ممكنًا فهو بوسعى .. »

ووضع يده فى السلسلة الذهبية المحيطة بعنقه .. ليس هذا فحسب .. إن أصابعه ازدانت كلها بالخواتم الماسية وكلها أصلى .

قال الرجل المثقف :

ـ « كلا .. لا أستطيع الخلاص من دهشتى .. ما معنى هذا كله ؟ »

قال الظل :

ـ « هو ليس بالشىء المعتاد .. لكنك لست شخصًا عاديًا .. وأنا أتبعك منذ طفولتى ، فما إن وجدت بوسعى استكشاف العالم وحدى فعلت ذلك .. وددت أن أراك مرة قبل أن تموت .. أردت كذلك أن أرى هذه الأرض ثانية لأننا جميعًا نحب وطننا الأم .. أعرف أن لديك ظلاً جديدًا .. لو كنت تريد ثمنًا لحريتى فإننى سأشكرك لو أخبرتنى به .. »

قال الرجل المثقف :

ـ « هل الأمر كذلك حقًا ؟ لم أتصور قط أن يأتى ظل المرء ليقابله .. »

قال الظل :

ـ « قل كم على أن أدفع لأننى لا أحب أى نوع من الديون .. »

قال الرجل المثقف :

ـ « كيف تتكلم كذا ؟ أى دين تتكلم عنه ؟ كن على راحتك .. يسرنى أن أعرف بطالعك الحسن فاجلس ، واحكِ لى ما حدث لك ، وما رأيته عند جارنا هناك فى الأرض الدافئة .. »

جلس الظل وقال :

ـ « حسن .. سأحكى لك كل شىء .. لكن عليك أن تعدنى ألا تخبر أحدًا هنا أننى كنت ظلك .. أنا أنوى أن أخطب لأننى بحاجة لأسرة .. » .

قال الرجل المثقف :

ـ « اطمئن بهذا الصدد ، فلن أخبر أحدًا بحقيقتك .. أعدك ورباط الرجل كلمته .. »

قال الظل :

ـ « الكلمة ظل .. وكما يتكلم الظل تتكلم .. »

كان من المدهش أن ترى لأى حد صار رجلاً .. كان يلبس السواد وحذاء واسعًا ذا رقبة ، وقبعة يمكن ثنيها . أضف لهذا أنه كان يحمل أختامًا وسلسلة ذهبية ، وخواتم ماسية .. أجل .. كان الظل يلبس جيدًا لذا بدا كالإنسان .

ـ « سوف أخبرك بمغامراتى .. »

قالها الظل وجلس وأراح حذاءه الصقيل على ذراع ظل الرجل المثقف الجديد ، الذى تمدد عند قدميه ككلب (بودل) . كان هذا يدل على الغرور ، وقد ظل الظل على الأرض صامتًا حتى يسمع كل شىء .. تمنى أن يعرف طريقة التحرر وكيف يشق دربه ليصير سيد نفسه .

قال الظل :

ـ « هل تعرف من كان يعيش أمامنا ؟ كانت أكثر المخلوقات روعة .. كانت هى (الإلهام) ! لقد بقيت هناك ثلاثة أسابيع كانت كأنها ثلاثة آلاف عام وقرأت كل ما هو مكتوب أو مؤلف .. معنى هذا أننى رأيت وعرفت كل شىء ! »

صاح الرجل المثقف :

ـ « (الإلهام) ! نعم . نعم .. إنها تعيش منعزلة فى المدن الكبرى .. (الإلهام) .. رأيتها للحظة ثم تسلل النوم إلى عينى .. لقد وقفت فى الشرفة وأضاءت مثل الفجر (أورورا) .. هلم أكمل .. أنت كنت فى الشرفة ثم دخلت الحجرة وعندها .. »

قال الظل :

ـ « وعندها صرت فى الغرفة المؤدية للغرفة الأساسية .. أنت لا ترى إلا هذه الغرفة . هناك لا ضوء لكن ترى نوعًا من الشفق .. والباب مفتوح فى مواجهة الباب الآخر يفصلهما ممر طويل من الغرف والصالونات .. لو ذهبت إلى العذراء مباشرة للقيت حتفى ، لكنى كنت حذرًا وتريثت قليلاً أفكر .. »

- « وماذا رأيت عندئذ ؟ »

- « رأيت كل شىء ولسوف أحكى لك ، لكن .. أتمنى ألا ترفع الكلفة فى الحديث معى ، وأن تستعمل الضمير You .. (الألقاب) خاصة مع ما بلغته من مركز فى الحياة وكل ما لدى من مال(*) » .

قال الرجل المثقف :

- « أستميحك عذرًا .. هى عادة قديمة لدى .. أنت محق ولسوف أتذكر هذا .. لكن عليك الآن أن تحكى لى كل ما رأيت .. »

قال الظل :

- « كل شىء .. فأنا رأيت وعرفت كل شىء .. »

سأله المثقف :

- « كيف كان الأمر فى الصالون الأخير ؟ »

(*) الفارق لا يتضح فى العربية والإنجليزية ، لكنه مألوف لدى من يعرفون الفرنسية والألمانية والدانمركية .. إلخ .. وقد حاول المترجم تقريب الصورة لقارئ الإنجليزية ؛ فالضمير you يستعمل عند وجود كلفة وصيغة رسمية ، أما الضمير thou فيستعمل بين الأصدقاء الحميمين . وعادة الدانمركيين أن يتبادل الصديقان الشراب ثم يقررا أن يصيرا Thou brothers أى أنهما لن يستعملا الصيغة الرسمية بينهما بعد اليوم ..

- « كل شىء كان هناك .. لم أدخل مباشرة بل وقفت فى الصالون الأول فى ضوء الشفق .. لكنى رأيت وعرفت كل شىء ! »

- « وماذا رأيت ؟ هل رأيت أبطال الملاحم يتصارعون هناك ؟ هل رأيت الأطفال يلعبون هناك ويحكون عن أحلامهم ؟ »

- « قلت لك إننى رأيت كل شىء .. لو أنك كنت هناك لما صرت بشريًا .. لكننى صرت بشريًا ! تعلمت أن أرى داخلى وأن أفهم خصائصى المتأصلة .. حينما كنت معك وكانت الشمس تشرق أو تغرب ، كنت أصير عظيمًا .. وفى ضوء القمر كنت مميزًا جدًا .. أكثر منك .. لكننى فى تلك الغرفة أدركت طبيعتى .. لقد صرت رجلاً ! خرجت من هناك ناضجًا لكنك لم تكن وقتها فى الأراضى الدافئة .. ووجدت نفسى فى حالة حرج من أن امضى كما أنا .. كنت بحاجة إلى حذاءين وثياب .. إلى كل الطلاء الآدمى الذى يجعل الإنسان مقبولاً .. اتخذت طريقى - وهذا لن تكتبه أو تحكيه أبدًا - إلى بائعة الكعك وتواريت خلفها .. لم تدر المرأة بكل هذا الذى تخفيه وراءها . خرجت فى الظلام لأول مرة وجريت فى الشوارع فى ضوء القمر .. استطلت على الجدران ، وهذا يدغدغ الظهر

بطريقة ممتعة ! جريت واختلست النظر عبر النوافذ ، ورأيت ما لم يره أحد قط .. وما لا يجب لأحد غيرى أن يراه ! الحق أن هذا العالم خسيس ! رأيت ما لم يره إنسان لكن رأيت ما يتمنى كل إنسان أن يراه ! لو كتبت صحيفة لراجت جدًا .. لكنى كتبت مباشرة للأشخاص أنفسهم ، فعم الذعر الناس فى المدينة . خافوا منى بشدة وبرغم هذا أولعوا بى .. الأساتيذ جعلونى أستاذًا .. والخياطون فصلوا لى ثيابًا جديدة .. دار صك العملة أصدرت عملة تحمل صورتى ، وقالت النسوة إننى وسيم ! من ثم صرت الرجل الذى أنا عليه .. الآن أقرؤك السلام .. أنا أعيش فى الجانب المشمس من الشارع وفى الأيام المطيرة أبقى فى البيت . »

من ثم رحل الظل ، فقال الرجل المثقف :

ـ « كان هذا خارقًا للطبيعة ! »

ومرت أعوام ثم عاد الظل ، وسأله :

ـ « كيف الحال ؟ »

قال الرجل المثقف :

ـ « واحسرتاه ! أنا أكتب عن الحق والخير والجمال لكن أحدًا لا يبالى بسماع هذه الأشياء .. أنا قانط أتألم من هذا .. »

قال الظل :

ـ « لكنى لا أفعل هذا .. لقد صرت بدينًا وهذا ما أتوق إليه .. أنت لا تفهم هذا العالم .. سوف يصيبك بالسقم .. يجب أن تسافر .. أنا أنوى السفر هذا الصيف فهل تأتى معى ؟ هل تقبل أن تكون رفيق سفرى كظل ؟ سوف أدفع نفقات السفر كلها .. »

قال الرجل المثقف :

ـ « لا .. هذا كثير ! هذا سيئ ! »

قال الظل :

ـ « هكذا حال العالم كله ! »

ثم رحل .. لكن الرجل المثقف كان فى حال لا يحسد عليها .. كان يشعر بالحزن والعذاب .. وكان كلامه عن الحق والخير والجمال لا يعنى لأكثر الناس إلا ما تعنيه الأزهار للبقرة ! فى النهاية أصابه السقم وقال له اصحابه :

ـ « أنت تبدو كالظل فعلاً ! »

وارتجف الرجل المثقف ..

قال له الظل إذ جاء يزوره :

ـ « يجب أن تذهب لمكان فيه ماء .. سآخذك معى إكرامًا لصداقتنا .. سوف أدفع التكاليف ، واكتب ما تراه أنت فلربما راق لى .. أنا أيضًا أريد الاستشفاء بالماء فلحيتى لا تنمو كما ينبغى .. وهذا مرض آخر .. فالمرء يجب أن يكون ملتحيًا .. »

هكذا سافرا .. الظل صار السيد والسيد صار الظل .. ركبا معًا ومشيا معًا .. وحيثما كانت الشمس حرص الظل على أن يكون حيث يوجد سيده .. ولم يفكر الرجل المثقف فى هذا كثيرًا لأنه كان رجلاً طيب القلب وودودًا .. لذا قال ذات يوم للظل :

ـ « ما رأيك بما أننا صرنا رفيقين أن نشرب نخب الصداقة الذى يتيح لى أن أخاطبك بلا تفخيم(*) .. »

ـ « أحسنت القول .. لكن هناك طبائع غريبة للناس .. بعضهم لا يطيق أن يلمس ورقة رمادية وإلا اعتراه السقم .. بعضهم يرتجف لدى سماع صوت ظفر على لوح زجاجى .. هكذا أشعر أنا كلما سمعتك تخاطبنى بدون تفخيم .. أشعر كأنما أنا أنضغط أرضًا لأعود لما كنته معك .. هذا مجرد إحساس وليس مسألة كبرياء .. لا أستطيع أن أسمح لك بمناداتى بلا تفخيم ، لكن يمكن أن أناديك بلا تفخيم وبهذا ننجز نصف المهمة .. »

(*) راجع الهامش السابق .

بدا الأمر غريبًا للرجل المثقف لكنه كان مرغمًا على تحمله ..

وصلا إلى مكان الاستشفاء بالماء حيث كان غرباء كثيرون ، وبينهم كانت أميرة متضايقة من حدة بصرها .. وقد لاحظت أن الغريب الذى وصل يختلف عن كل الناس :

ـ « جاء هنا لتنمو لحيته كما يقولون ، لكنى أعرف السبب الحقيقى .. إنه لا يملك ظلاً .. »

لذا دخلت على الفور فى محادثة مع السيد الغريب أثناء النزهة . وبما أنها ابنة ملك فما كان لها أن تتوقف عند أمور تافهة . قالت :

ـ « هل شكواك أنه لا ظل لك ؟ »

قال الظل :

ـ « لابد أن سموك تتحسنين بشكل ملحوظ ! كانت شكواك أنك ترين بوضوح أكثر من اللازم .. لكن هذا المرض قد شفى .. مشكلتى هى أن لى ظلاً غير معتاد .. ألا ترين هذا الذى يمشى معى ؟ الناس العاديون لهم ظل عادى لكنى لا أحب ما هو معتاد .. لهذا منحت هذا الظل ظلاً كما ترين .. هذا يكلف مالاً لكنه يمنحنى التميز ! »

فكرت الأميرة :

ـ « ماذا ؟ هل شفيت حقًّا ؟ هذه الحمامات هى الأفضل فى العالم .. فى عصرى كان الماء ذا قدرات خارقة ، لكنى لن أترك هذا المكان لأنه صار مسليًا .. أنا معجبة بهذا الغريب .. ليت لحيته لا تنمو لأن هذا معناه أن يفارقنا ! »

فى المساء رقصت الأميرة والظل معًا فى غرفة الرقص .. كانت خفيفة لكنه كان أخف .. لم تر قط رفيقًا كهذا فى الرقص .. أخبرته من أين جاءت ، وكان يعرف بلدها . لقد زاره ورأى كل شىء .. أخبرها بأدق الأسرار حتى أصابها الذهول . لابد أنه أحكم رجل على ظهر الأرض !! لذا حين رقصا ثانيةً كانت قد وقعت فى حبه . وقد لاحظ الظل هذا لأن عينيها كادتا تخترقانه .. رقصا من جديد معًا وكادت تصارحه بحبها ، لكنها كانت متحفظة . كانت تفكر فى بلدها وملكها .. وفى القوم الذين سوف تحكمهم .

قالت لنفسها :

ـ « هو رجل حكيم .. وهو يرقص ببراعة .. هذا جيد .. لكن هل معلوماته قوية ؟ لابد من اختبار هذا ! »

لذا بدأت على مراحل تسأله عن أصعب الأمور التى خطرت لها .. فبدا تعبير غريب على وجه الظل .

سألته :

ـ « ألا تستطيع الإجابة ؟ »

ـ « إنها تنتمى لما تعلمته طفلاً .. أثق فى أن ظلى الواقف على الباب هناك يستطيع أن يجيبك .. »

قالت الأميرة :

ـ « ظلك ؟ إن هذا ليكون رائعًا ! »

قال الظل :

ـ « لست واثقًا من أنه يستطيع ، لكن أظن هذا .. لقد تبعنى أعوامًا طويلة وسمع محادثاتى .. لكن اسمحى لى بإبداء ملحوظة يا سمو الأميرة .. إنه فخور بقدرته على أن يتنكر كإنسان .. لذا يجب عليه أن يعامل كإنسان كى يستطيع الإجابة على أسئلتك .. »

قالت الأميرة :

ـ « آه .. أنا أحب هذا .. »

لذا اتجهت نحو الرجل المثقف وكلمته عن الشمس والقمر وعن الناس فى العالم الأحياء منهم والأموات .. وقد أجاب بحكمة وحصافة .

فكرت :

ـ « يا للرجل الذى يملك ظلاً بهذه الحكمة ! ستكون نعمة لشعبى لو فزت به زوجًا ! سوف أفعل هذا ! »

سرعان ما تم الاتفاق لكن قررا إبقاء الأمر سرًا حتى تعود إلى مملكتها .

قال الظل :

ـ « لا أحد .. حتى ظلى ! »

وكان يفكر فى الأمر .. وقال لصديقه المتعلم :

ـ « اسمع يا صاحبى .. لقد بلغت ذروة القوة والسعادة .. لذا سأفعل شيئًا خاصًا لك .. سوف تعيش معى أبدًا فى القصر وتركب معى فى العربة الملكية ، وتنال عشرة آلاف جنيه كل عام .. لكن عليك أن تقبل أن يعتبرك الكل ظلاً . لا تقل أبدًا أنك رجل .. وكلما جلست فى الشمس فى الشرفة سيكون عليك أن ترقد عند قدمى ، كما يفعل الظل ! أنا سوف أتزوج ابنة الملك ولسوف يعقد الزواج الليلة ! »

قال الرجل المثقف :

ـ « كلا ! لقد ذهبت بعيدًا جدًا ! لن أفعله ! معنى هذا أن

تخدع بلدًا بأكمله والأميرة كذلك .. سأخبر الناس بكل شىء .. أنك ظل وأننى رجل وأنك تلبس ثيابًا لتخدعهم ! »

قال الظل :

ـ « لن يصدقك أحد .. تعقل وإلا ناديت الحرس ! »

قال الرجل المثقف :

ـ « سوف أذهب إلى الأميرة .. »

قال الظل :

ـ « بل أنا سأذهب أولاً ، وعندها تذهب أنت للسجن! »

وكانوا مرغمين على هذا لأنهم يعرفون أن الأميرة ستتزوجه ..

قالت الأميرة إذ جاء الظل لغرفتها :

ـ « أنت ترتجف .. هل حدث شىء هذه الليلة بينما إجراءات الزفاف جاهزة ؟ »

قال الظل :

ـ « قد عشت حتى أرى أقسى ما يمكن للمرء أن يراه ! فقط تخيلى .. إن عقل هذا الظل لا يتحمل الكثير .. لقد جن

ظلى وهو يعتقد أنه بشر .. ويعتقد ـ تصورى هذا ـ أننى أنا ظله ! »

قالت الأميرة :

ـ « مريع ! لكنه معزول .. أليس كذلك ؟ »

ـ « لا أعتقد أنه سيشفى .. »

ـ « يا للظل البائس ! إنه تعس الحظ .. يخيل إلى أنه من الواجب علينا أن نقضى عليه بهدوء ليستريح .. »

قال الظل :

ـ « هذا صعب بالتأكيد .. لأنه كان خادمًا مخلصًا .. »

وتنهد .. فقالت الأميرة :

ـ « أنت شخص نبيل ! »

أضيئت المدينة كلها فى المساء ودوت المدافع بوم بوم ! واستعرض الجنود أسلحتهم .. هذا هو الزواج فعلًا ! وخرجت الأميرة والظل إلى الشرفة لتلقى (هوراااااااااااه) أخرى ..

لم يسمع الرجل المثقف شيئًا من هذا لأنهم كانوا قد قضوا عليه .

* * *

الأسرة السعيدة

أكبر ورقة شجرة فى هذه البلاد هى بحق ورقة لو وضعها المرء أمامه لبدت كميدعة ، ولو وضعتها على رأسك فى المطر لكانت مفيدة كالمظلة ، لأنها كبيرة جدًا .. إن نبات (البيردوك) الشوكى الذى ينبت هذه الورقة لا ينمو وحده ، إنما حيث وجدت نبتة وجدت أخريات .. إنه رائع .. وهذه الروعة كلها طعام للقواقع .. القواقع البيض التى كان علية القوم قديمًا يأكلونها ويقولون : « هم هم .. ما ألذها ».. لأنهم كانوا يحسبون طعمها شهيًا .. هذه القواقع كانت تتغذى على أوراق النبات ، ولهذا كان الناس يبذرون بذور (البيردوك) .

الآن هناك بيت صاحب العزبة حيث لم يعد أحد يأكل القواقع ، لذا انقرضت هذه لكن نبات (البيردوك) لم ينقرض . لقد نما فى كل مكان وفى كل الممرات ، ولم يقدر أحد على السيطرة عليه .. كانت غابة من (البيردوك) ولولا شجرة تفاح هنا أو هناك لما اعتقدت أبدًا أن هذه حديقة . كانت هذه غابة (البيردوك) وهناك عاش آخر قوقعين محترمين .

لم يكونا على علم بعمرهما .. فقط يعرفان أنهم كانوا كثيرين وأنهم كانوا من أسرة جاءت من أرض أجنبية ، وأنه من أجلهم زرعت الغابة . لم يخرجا منها قط لكنهما يعرفان أن هناك أشياء أخرى فى العالم . مثلاً هناك بيت صاحب العزبة .. هناك كانوا يُسلقون حتى يسود لونهم ثم يوضعون على طبق فضى .. لكن ماذا بعد هذا ؟ لم يعرف أحد .. بل لم يعرف أحد كيف يكون شعور من يُسلق ويوضع فى طبق ، لكن قيل إن هذا جميل وأقرب للرقى . لم تعطهم الخنافس ولا الضفادع ولا ديدان الأرض إجابة لأن أحدها لم يُسلق ويوضع فى طبق فضى .

كان القوقعان الأبيضان العجوزان هما الوحيدان من ذوى الحيثية فى العالم الذى يعرفانه . لقد زرعت الغابة من أجلهما وتم تشيد بيت العزبة ليتاح لهما أن يسلقا ويوضعا فى طبق فضى .

الآن كانا يعيشان فى وحدة وسعادة .. ولم يكن لديهما أطفال ، فتبنيا قوقعًا عاديًا .. لكن الصغير لم ينمُ لأنه كان من أسرة عادية . إلا أن العجوزين ـ خاصة السيدة قوقعة ـ اعتقدا أنهما يريان نموه .. وطلبت الأم من الأب أن يتحسس القوقع ليرى لنفسه .. فعل هذا ووجد أنها محقة .

ذات يوم هبت عاصفة مطيرة شديدة .

قال الأب قوقع :

ـ « اسمعى كيف تضرب أوراق الأشجار بعنف ! »

قالت الأم قوقعة :

ـ « هناك كذلك قطرات مطر .. الآن ينهمر المطر فوق الساق .. سيبتل المكان هنا .. أنا سعيدة ببيتنا الجميل وخاصة أن هناك بيتًا للصغير كذلك ! لقد رزقنا بما هو أكثر من أى مخلوق آخر .. ألا ترى أننا أناس مهمون ؟ لقد رزقنا ببيت منذ ولادتنا وقد زرعت غابة (البوردوك) من أجلنا .. أريد أن أعرف لأى مدى تمتد وماذا وراءها ! »

قال الأب قوقع :

ـ « لا يوجد شىء .. لا يوجد مكان أفضل من هذا وليس لدى ما أتمناه ! »

قالت السيدة :

ـ « نعم .. لكنى ما زلت أرغب فى أن أذهب لبيت العزبة ، أسلق وأوضع فى طبق فضى .. كل أجدادنا مروا بهذا .. لابد أن هناك شيئًا عظيمًا فى الأمر .. أؤكد لك ! »

قال الأب قوقع :

ـ « لابد أن بيت العزبة قد تهاوى خرابًا .. أو أن نباتات (البردوك) غطته .. لا يجب أن تتعجل هذا .. أنت متعجلة دومًا

والصغير بدأ يكتسب طباعك .. ألم يكن يزحف على تلك الساق منذ ثلاثة أيام ؟ إننى أشعر بالصداع إذ أبحث عنه .. »

قالت الأم :

ـ « لا يجب أن توبخه .. إنه يزحف بحرص وسوف يمنحنا الكثير من البهجة .. لكن ألم تفكر فى الأمر ؟؟؟ من أين نأتى له بزوجة ؟ ألم تفكر فى أن يوجد من هم مثلنا فى مكان ما فى قلب غابة (البردوك) ؟ »

قال العجوز :

ـ « قواقع سود .. أجسر على قول هذا .. هناك قواقع سود كثيرة بلا دار .. لكنها منحطة مغرورة .. إلا إننا يمكن أن ندفع للنمل كى يبحث لنا .. إنه يجرى ذات اليمين واليسار كأنه يبحث عن شىء ما ، ولربما يعرف شيئاً عن قوقعة تناسب الصغير ! »

قالت نملة :

ـ « أنا أعرف واحدة .. الأكثر فتنة ! لكن أخشى ألا ننجح لأنها ملكة ! »

قال العجوز :

ـ « لا مشكلة .. لكن هل لديها بيت ؟ »

قالت النملة :

ـ « لديها قصر ! أجمل قصر نمل وفيه سبعمائة ممر ! »

قالت القوقعة الأم :

ـ « شكرًا لك ! إن ابننا لن يسكن فى كومة نمل .. لو لم تعرفى ما هو خير من هذا فلسوف نكلف بهذا البعوض الأبيض .. إنه يطير بعيدًا وفى الشمس والمطر .. . إنه يعرف الغابة كلها من الداخل والخارج .. »

قال البعوض الأبيض :

ـ « لدينا زوجة له .. على بعد مائة خطوة من خطوات البشر من هنا توجد قوقعة صغيرة فى بيتها ، على شجيرة من عنب الثعلب .. إنها وحيدة وأكبر سنًا من أن تتزوج .. لكنها موجودة على بعد مائة خطوة من خطوات البشر ! »

قال العجوزان :

ـ « حسن .. دعها تأت له .. إن لديه غابة (بيردوك) كاملة وهى لا تملك إلا شجيرة .. »

هكذا ذهب البعوض والتقط الآنسة قوقعة . استغرق وصولها أسبوعًا ، لكن كان من الجميل أن ترى أنها من نفس الفصيلة .

وهكذا تم الاحتفال بالزفاف . وأضاءت ست ديدان أرض نفسها قدر ما استطاعت . وكان الحفل هادئـًا جدًا لأن العجوزين لم يتحملا الكثير من الصخب ، إلا أن السيدة قوقعة ألقت خطبة جميلة . لم يستطع الأب قوقع أن يتكلم لأنـه كـان متأثرًا .. وقدم لهما ميراثًا ، ثم قال لهما إن هذه الغابة أجمل شىء فى العالم ، وإنهما لـو تزوجا وتكاثرا لأمكن لأطفالهما أن يدخلوا بيت العزبة حيث يسلقون ويوضعون فى أطباق فضية . بعد هذه الخطبة زحف العجوزان إلى بيتهما ولم يخرجا . لقد ناما على حين حكم الشابان الغابة وكانت لهما ذرية عظيمة لكنهما لم يسلقا .. ولم يوضعا فى طبق فضى .. من هذا استنتجا أن بيت العزبة تهاوى وأن الجنس البشرى انقرض ولم يجادل أحد لذا افترضا أن الأمر كذلك .

إن المطر يضرب الأوراق ليحدث صوت الطبول من أجلهما ، والشمس تسطع لتكسب غابة (البردوك) لونًا من أجلهما .. وكانا سعيدين جدًا .. كانت كل الأسرة سعيدة جدًا لأنها كانت كذلك حقًا .

★ ★ ★

قصـــة أم

جلست الأم مع صغيرها مكتئبة خائفة عليه من المـوت ! كان شاحبًا ، وعيناه مغلقتـان وكان يجذب نفسـه فى وهن من آن لآخر ، ومن حين لآخر يأخذ شهيقًا عميقًا كأنما هو يتنهد .. فراحت الأم تنظر بأسى إلى المخلوق الصغير .

ثم دوت طرقة على الباب . ومنه دخل رجل عجوز فقير يلتف بغطاء ظهر جواد لأنه يبعث الدفء ، وكـان الرجل بحاجة إليه لأن هذا كان موسم الشتاء البارد . كل شىء خارج الأبواب كان مغطى بالثلج والجليد وهبت الريح حتى توشك أن تمزق الوجوه ..

إذ ارتجف الرجل بردًا ونام الطفل للحظة ، نهضت المرأة وصبت بعض الشراب فى وعاء ووضعته على الموقد لتدفئه .. جلس العجوز وهز المهد ، فجلست المرأة تتفحص صغيرها وهو يسحب أنفاسه بقوة . ورفعت يده الصغيرة .

قالت للرجل :

- « هل تحسبنى لن أستطيع إنقاذه ؟ إن الرب سيبقيه لى ! »

كان العجوز هو الموت ذاته ، وقد هز رأسه بشكل غريب بما معناه نعم أو لا . فنظرت المرأة إلى حجرها وجرى الدمع على خديها .. ثقل رأسها فهى لم تغلق عينيها منذ ثلاثة أيام .. الآن نامت لكن للحظة بعدها استيقظت مجفلة وارتجفت بردًا .

قالت :

ـ « ما هذا ؟ »

ونظرت فى كل اتجاه لكن العجوز كان قد رحل . وكان طفلها قد رحل كذلك .. لقد أخذه معه ! وراحت الساعة العتيقة فى الركن تطن وتطن .. سقط جزء ثقيل منها على الأرض فتوقفت .

جرت الأم البائسة خارج منزلها تصرخ منادية صغيرها .

هناك وسط الجليد جلست امرأة فى ثياب سود طويلة وقالت :

ـ « كان الموت فى غرفتك ، وقد رأيته يجرى مع طفلك الصغير .. إنه أسرع من الريح وهو لا يعيد أبدًا ما أخذ ! »

قالت الأم :

ـ « فقط قولى لى فى أى طريق ذهب .. قولى لى الطريق وسوف أجده ! »

قالت المرأة ذات الثياب السود :

ـ « أنا أعرف .. لكن قبل أن أخبرك يجب أن تنشدينى كل الأغانى التى غنيتها لطفلك .. أنا أحبها .. أنا الليل ولقد سمعتها من قبل ولمحت الدمع فى عينيك وأنت تغنين ! »

قالت الأم :

ـ « سأغنيها جميعًا .. جميعًا .. لكن لا توقفينى .. يجب أن أجد طفلى ! »

لكن الليل وقف صامتًا .. من ثم صفقت الأم بيديها وغنت الكثير ومعه الكثير من الدموع .. ثم قال الليل :

ـ « اتجهى يمينًا إلى غابات الصنوبر المظلمة .. هناك رأيت الموت يذهب مع طفلك .. »

تقاطعت الطرق فى قلب الغابة ، ولم تعد تعرف أين تذهب .. هناك وقفت شجرة شوك لا تجد عليها ورقة ولا زهرة ، وكان هذا الشتاء باردًا لذا كانت هناك رقائق ثلج على غصونها .

قالت الأم :

ـ « ألم ترى الموت يمر من هنا مع طفلى ؟ »

قالت شجرة الشوك :

ـ « بلى .. لكن لن أخبرك أى طريق سلك ما لم تدفئى قلبى .. أنا أموت من البرد وسوف أصير قالب ثلج! »

ضمّت الأم شجرة الشوك إلى صدرها بقوة ، حتى تبعث فيها الدفء .. واخترق الشوك لحمها فسال الدم بقطرات كبيرة لكن شجرة الشوك أنبتت أوراقًا خضرًا طازجة ، ونبتت منها الأزهار . كان قلب الأم الحزينة دافئًا من ثم أخبرتها شجرة الشوك بالطريق .

وصلت إلى بحيرة كبيرة ، حيث لم يكن قارب ولا سفينة .. كانت متجمدة بالكامل ليس بما يكفى لحملها .. ولم تكن ضحلة بما يكفى لخوضها .. من ثم ركعت لتشرب البحيرة .. كان هذا مستحيلاً بالنسبةِ لبشرى لكن الأم الحزينة توقعت معجزة برغم هذا .

قالت وهى تبكى :

ـ « أوه .. ما الذى لن أعطيه كى أسترجع طفلى ؟ »

وبكت أكثر .. غاصت عيناها فى البحيرة حتى صارتا لؤلؤتين ثمينتين .. لكن الماء حملهما لأعلى .. ووجدت المرأة أنها

تطير فوق الأمواج إلى الجانب الآخر حيث كان بيت غريب عريض لا يعرف المرء إن كان جبلاً مليئًا بالغابات والكهوف ، أم أنه مبنى .. لكن البائسة لم تره لأن عينيها تلفتا من البكاء .

وتساءلت :

ـ « أين أجد الموت الذى اختطف طفلى ؟ »

قالت الحانوتية العجوز المكلفة برعاية صوبة نباتات الموت :

ـ « لم يأت بعد .. كيف وصلت هنا ومن ساعدك ؟ »

قالت :

ـ « ساعدنى الله .. إنه رحيم وإننى لأرجو أن ترحمينى مثله .. أين أجد طفلى ؟ »

قالت العجوز :

ـ « لا أعرف .. لقد ذبلت زهور وأشجار كثيرة هذه الليلة .. سيعود الموت ليعيد زرعها .. تعرفين أن كل إنسان له نبتة عمره ، وهذه النباتات لها قلوب تنبض .. ابحثى عن قلب طفلك لربما عرفته .. لكن ماذا تعطيننى لو أخبرتك بما يجب أن تعرفيه ؟ »

قالت الأم الحزينة :

ـ « ليس لدى شىء .. لكنى سأذهب لنهاية العالم من أجلك ! »

قالت العجوز :

ـ « لا .. ليس لدى شىء هناك .. لكن بوسعك إعطائى شعرك الأسود الطويل .. أنا أحبه ! سوف تنالين شعرى الأبيض بدلاً منه ، وهى ليست صفقة خاسرة .. »

قالت :

ـ « هل من شىء آخر أهبه لك ؟ »

وأعطتها شعرها الأسود الجميل وأخذت شعر المرأة الأبيض كالثلج .

هكذا دخلتا صوبة نباتات الموت حيث تنمو النباتات بشكل غريب على بعضها .. هناك كانت نباتات الحدقية تقف تحت أجراس زجاجية ، وهناك نبات عود الصليب سميك الساق ، وكثير من نباتات الماء .. بعضها نضر وبعضها نصف مريض . كانت الثعابين تلتف على بعضها .. ثم كانت أشجار نخيل جميلة وبلوط ونبات أذن الحمل .. كل زهرة وكل نبات كان له اسمه .. كل منها كانت حياة بشرية .. ما زال القلب البشرى يعيش .. هذا فى الصين وذاك فى (جرينلاند) .. إلخ ..

دنت الأم المذعورة من النباتات فسمعت صوت دقات القلب البشرى ، ومن بين الملايين عرفت قلب ابنها .

صاحت :

ـ « هذا هو ! »

ومدت يديها إلى زعفرانة مريضة معلقة إلى جنب .

قالت العجوز :

ـ « لا تلمسى الزهرة ! لكن قفى هنا ، وحينما يعود الموت ـ وأنا بانتظاره ـ لا تدعيه يقطف الزهرة . هدديه بأنك ستفعلين الشىء ذاته بالأخريات ! سوف يخاف ! إنه مسئول عنها ولا يسمح لأحد بقطفها ما لم يأمر هو بذلك .. »

فجأة هبت ريح باردة فعرفت الأم الكفيفة أن الموت قد جاء .

قال :

ـ « كيف جئت هنا ؟ وكيف سبقتنى ؟ »

قالت :

ـ « أنا أم .. »

مد الموت يديه الطويلتين إلى الزهرة الصغيرة ، لكنها اعتصرت يديه .. نفخ فى يديها فسقطتا عاجزتين .. وقال لها :

ـ « لا يمكنك عمل شىء لى .. »

ـ « الرب يستطيع .. »

وبكت كثيرًا .. ثم علـى حين غرة مدت يدها وأمسكت بزهرتين جميلتين وصاحت :

ـ « سأمزق هاتين الزهرتين .. لأننى يائسة ! »

صاح الموت :

ـ « لا تلمسيهما ! أنت تقولين إنك تعسة .. لكنك تريدين جعل أمين أخرتين تعستين! »

ـ « أم أخرى ! »

قالتها ثم أطلقت الزهرتين ..

قال الموت :

ـ « إليك عينك ثانية .. لقد انتشلتها من البحيرة .. لم أعلم أنها لك .. خذيهما . إنها الآن أكثر لمعانًا من ذى قبل .

أنظرى إلـى البئر العميقة بقربك .. سأخبرك باسم الزهرتين اللتين عدلت عن قطفهما ، ولسوف ترين حياتيهما .. وسوف تعرفين ما كنت ستدمرين .. »

نظرت إلى البئر ، فرأت كيف صارت إحدى الزهرتين نعمة للبشر وسعادة تملأ كل مكان ، وكيف صارت الأخرى ألمًا وشقاء ورعبًا وتشردًا ..

قال الموت :

ـ « كلتاهما إرادة الله .. »

سألته :

ـ « أيتهما الزهرة السعيدة وأيتهما الزهرة تعسة الحظ ؟ »

قال الموت :

ـ « هذا لن أخبرك به .. لكن دعينى أخبرك أن إحداهما كانت تمثل مستقبل ابنك .. إن هذه الزهرة هـى ابنك وأنت رأيت مستقبله! »

صرخت فى رعب :

ـ « أيهما طفلى ؟ قل لى ! ارحم ابنى البرىء من كل هذه التعاسة ! خذه معك .. انس دموعى ! انس كل ما فعلته ! »

قال الموت :

ـ « لا أفهمك .. هل تريدين استعادة طفلك أم آخذه إلى هناك حيث لا تعرفين ؟ »

ضربت الأم كفيها معًا وسقطت على ركبتيها ، ودعت الله :

ـ « إن إرادتك هى الأكثر حكمة يا الله ! فلتكن مشيئتك ! »

وحنت رأسها فى حجرها ، من ثم أخذ الموت طفلها وانطلق إلى عالم مجهول .

★ ★ ★

الضفدع القفّاز

قرر برغوث ونطاط غيط وضفدع قفاز أن يروا أيهم يقفز أعلى ، ولهذا دعوا العالم كله وكل شخص آخر ليرى الاحتفال . كانوا قفّازين مشهورين كما يقول الجميع إذ التقوا معًا فى الحجرة .

قال الملك :

ـ « سأقدم ابنتى لمن يثب أعلى من غيره .. إذ ليس من المسلى ألا تكون هناك مكافأة للقفز .. »

كان البرغوث أول الواثبين . كان له أسلوب بارع وقد انحنى للمشاهدين على الجانبين ، لأن دمًا نبيلاً كان فى عروقه ، وقد اعتاد مجتمعات البشر وهذا له تأثير كبير .

ثم جاء نطاط الحقل .. كان أثقل لكنه كان متأنقًا وارتدى زيًا أخضر يملكه منذ ميلاده ، وقال إنه ينتمى إلى أسرة مصرية عريقة ، وإنه فى الدار التى نشأ فيها كان ينظر له كشىء عظيم . المشكلة هى أنه جلب حالاً من الحقل ووضع فى بيت من الورق المقوى ارتفاعه ثلاثة طوابق . بنى من ورق اللعب بحيث كانت الصور تتجه للداخل . وقد اقتطعت النوافذ من جسم (ملكة القلوب) .

قال :

ـ « أنا أغنى بصوت حسن .. والستة عشر نطاط حقل التى ظلت تصفر منذ طفولتها ، لم ينل واحد منها بيتًا من ورق اللعب ، وقد هزلت بسبب غيظها لسماع صوتى .. »

هكذا قدم البرغوث ونطاط الحقل نفسيهما ، واعتقد كلاهما أن لديه الحق للزواج بالأميرة .

لم يقل الضفدع القفاز شيئًا لكن الناس قدروا أنه يطمح لما هو أكثر ، وحينما تشممه كلب الأسرة بأنفه اعترف بأن الضفدع القفاز من أسرة كريمة .

أما المستشار العجوز فقال إن الضفدع عراف موهوب لأنك تستطيع إذا رأيت ظهره أن تعرف إن كان الطقس سيكون سيئًا أم معتدلاً .. وهذا ما لا تجده حتى على ظهر الرجل الذى يكتب التقويم ذاته .

قال الملك متعجبًا :

ـ « لن أقول شيئًا .. لكن لى رأيى مع ذلك .. »

الآن جاء وقت الامتحان ، ووثب البرغوث عاليًا حتى إن أحدًا لم ير أين ذهب ، وحسبوا أنه لم يثب قط .. كان هذا مهينًا .

وثب نطاط الحقل نصف هذه المسافة ، لكنه وثب فى وجه الملك الذى وصف ما حدث بأنه تصرف غير مهذب .

وقف الضفدع النطاط ساكنًا وقتًا طويلاً شارد الذهن ، حتى اعتقد الكل أنه لن يثب .

قال كلب الأسرة :

ـ « فقط آمل أنه ليس مريضًا .. »

هنا .. بوب ! بوثبة جانبية صار على حجر الأميرة التى كانت تجلس قريبًا على مقعد ذهبى .

هنا قال الملك :

ـ « ليس من شىء أعلى من ابنتى .. لذا أعتبر هذه أعلى قفزة حدثت .. إن المرء يجب أن يبدى حسن الفهم ، وقد أظهر الضفدع أنه يفهم حقًا .. إنه شجاع مثقف .. »

هكذا فاز بالأميرة .

قال البرغوث :

ـ « الأمر عندى سيان .. لقد فاز الضفدع القفاز ربما .. إلا أننى كنت الأعلى وثبًا ، لكن التميز قلما يلقى جائزته فى هذا العالم .. الناس لا تنظر إلا إلى المظهر الخارجى الحسن .. »

ثم غادر البرغوث البلاد ليعمل مع الأجانب .. ويقال إنه قتل .

وجلس نطاط الحقل فى الخارج على ضفة خضراء وفكر فى شئون الدنيا . ثم قال :

ـ « نعم . إن المظهر الحسن هو كل شىء .. هذا ما يهتم به الناس .. »

وبدأ يغنى أغنيته الحزينة التى منها عرفنا قصته ، والتى ربما تكون كاذبة تمامًا برغم أنها موجودة هنا وقد طبعت بالحبر .

★ ★ ★

شجرة الــورد

ذات مرة عاش صبى صغير أصيب بالبرد . كان قد خرج وقدماه مبتلتان برغم أن أحدًا لا يعرف السبب لأن الطقس كان جافًا . لذا نزعت أمه ثيابه ووضعته فى الفراش وجلبت إناء الشاى لتعد له بعضًا منه . فى هذه اللحظة جاء العجوز اللطيف الذى يعيش فى الطابق العلوى وحيدًا .. لأنه لم يتزوج ولم يرزق بأطفال .. لكنه كان يحب الأطفال حبًا جمًا ، وكان يعرف الكثير من القصص الخيالية الممتعة .

قالت أم الصبى :

ـ « اشرب الشاى .. وبعدها قد تسمع قصة خيالية .. »

قال العجوز :

ـ « ليت عندى الجديد لأحكيه .. لكن كيف بلل الصبى قدميه ؟ »

قالت الأم :

ـ « هذا هو ما لا يستطيع أحد فهمه .. »

سأل الصبى :

ـ « هل سأسمع قصة خيالية ؟ »

ـ « نعم .. لكن لو أخبرتنى .. لأننى أريد أن أعرف عمق المزراب الذى تعبره فى الشارع وأنت ذاهب إلى المدرسة .. »

قال الطفل :

ـ « يصل لارتفاع حذائى ذى العنق .. لكن بعدها لابد أن أنزل فى حفرة عميقة .. »

قال العجوز :

ـ « هلم ! من هنا ابتلت قدماك ! الآن يجب أن أخبرك بقصة لكن ليست عندى قصص أخرى .. »

قال الصبى :

ـ « يمكن أن تؤلف واحدة فورًا .. تقول أمى إن كل ما تنظر له يمكن أن يصير قصة .. وإنك تستطيع العثور على قصة فى كل شئ .. »

ـ « نعم .. لكن هذه القصص لا تصلح .. القصص الجيدة توجد من تلقاء نفسها .. إنها تدق على جبينى وتقول : ها نحن أولاء! »

سأله الصبى :

ـ « ألن تدق قصة قريبًا ؟ »

فضحكت أمه ووضعت بعض أوراق الورود فى البراد وصبت فوقها الماء المغلى .

ـ « أرجوك أن تقول لى شيئًا ! »

قال الرجل :

ـ « فقط لو أن القصص الخيالية تأتى برضاها ، لكنها مغرورة متعجرفة .. لكن لحظة ! وجدتها ! أصغ لى ! هناك واحدة فى براد الشاى ! »

نظر الصبى إلى براد الشاى .. ارتفع الغطاء أكثر فأكثر وبدت الورود بيضاء نضرة ، وخرجت منها أغصان راحت تنتشر فى كل جانب وتنمو .. كانت شجرة ورد جميلة رائعة وقد أزاحت الستائر جانبًا . ما أنضرها ! ويا للرائحة ! ووسط الشجيرة كانت امرأة عجوز ودود فى ثوب غريب . كان أخضر كأوراق الشجرة وطرزت عليه زهور كبيرة ، حتى لا تستطيع معرفة هل هى طبيعية أم مرسومة .

سأل الصبى :

ـ « ما اسم هذه المرأة ؟ »

قال العجوز :

ـ « الإغريق والرومان يطلقون عليها (درياد)(*) لكننا لا نفهم هذا .. الذين يعيشون فى الأكواخ الجديدة (**) يطلقون عليها (المربية العجوز) .. وهى من يجب أن تهتم به .. والآن اصغ وانظر إلى شجرة الزهور ..

« هناك أشجار مماثلة موجودة قرب الأكواخ الجديدة تنمو فى فناء تعس صغير ، وتحتها جلس عصر يوم عجوزان ينعمان بأروع ضوء شمس .. بحار عجوز عجوز .. وزوجته العجوز العجوز ..

كان لأحفادهما أولاد .. وسوف يحتفلان قريبًا بالعيد الخمسين لزواجهما .. لكنهما عجزا عن تذكر التاريخ .. نظرت الجدة العجوز التى تعيش فى الشجرة وقالت :

ـ « أنا أعرف التاريخ .. »

لكن الزوجين الجالسين بالأسفل لم يسمعاها لأنهما كانا يتكلمان عن زمن ماض .

(*) حورية الغابة .

(**) صف من البيوت تخصص للبحارة فى كوبنهاجن .

قال البحار العجوز :

ـ « نعم .. ألا تتذكرين عندما كنا صغيرين جدًا ؟ كيف كنا نلعب ونركض ؟ كان هذا الفناء ذاته .. وقد صنعنا حديقة هنا .. »

قالت زوجته العجوز :

ـ « بلى .. أتذكر هذا جيدًا .. لقد سقينا عُقل النبات وكانت واحدة منها شجرة ورد .. وقد خرجت منها أغصان خضر ، ثم نمت منها الشجرة العملاقة التى نجلس تحتها نحن الشيخين .. »

قال :

ـ « أكيد .. وهناك فى الركن كان دلو ماء كنت أجعل قواربى الصغيرة تسبح فيه .. »

قالت هى :

ـ « حقًا .. لكن أولاً ذهبنا للمدرسة لنتعلم شيئًا . ثم عدنا .. لقد بكينا ، لكنا ذهبنا عصرًا إلى البرج المستدير حيث وقفنا ننظر إلى (كوبنهاجن) ، ثم إلى (فردريكسبيرج) حيث كان الملك والملكة يبحران فى قاربهما الرائع .. »

ـ « لكنى جربت رحلات أفضل من هذه بعد ذلك .. »

قالت :

ـ « نعم .. ولكم من مرة بكيت من أجلك .. حسبتك مت ورحلت ، أو أنك ترقد فى قاع المحيط . كم من ليلة صحوت فيها لأرى ما إذا كانت الريح قد تغيرت .. وقد تغيرت كثيرًا لكنك لم تأت قط .. أذكر ذات ليلة كان المطر ينهمر فيها سيولاً ، وكان اللاجنون يقفون على أبواب البيت الذى كنت أؤدى فيه الخدمة .. هنا جاء ساعى البريد وأعطانى رسالة .. كانت منك ! فتحتها وقرأت .. بكيت وضحكت ! فيها قرأت أنك فى ارض دفيئة حيث تنمو أشجار البن .. لابد أنها أرض مباركة ! وحكيت لى الكثير .. قرأت كل شىء والمطر ينهمر . هنا جاء شخص احتضننى .. »

ـ « نعم .. لكنك وجهت له لكمة على أذنه حتى أصدرت صفيرًا .. »

ـ « لم أعرف أن هذا أنت .. لقد وصلت مع خطابك ، وكنت وسيمًا جدًا وما زلت .. حول عنقك كان منديل أصفر طويل .. وقبعة جديدة .. كنت جريئًا أنيقًا ! »

قال لها :

ـ « بعدها تزوجنا .. هل تذكرين ؟؟ ورزقنا بأول طفل لنا .. ثم (ماري) و(نيكولاس) و(بيتر) و(كريستيان) .. »

ـ « نعم وقد كبروا ليصيروا رجالاً محترمين ، وكنا نلقى الحب من كل اتجاه . »

ـ « وأطفالهم رزقوا بأطفال .. »

ـ « نعم .. هم أحفادنا .. كلهم قوة وعافية .. »

ـ « اليوم بالذات هو الذكرى الخمسون للزواج .. »

هذه العبارة الأخيرة كانت من الجدة العجوز التى ألصقت رأسها بين الاثنين ، فحسبا أن الجار هو من أخبرهما بهذا . تبادلا النظرات ثم أمسك كل بيد رفيقه .. بعد قليل جاء أطفالهما وأحفادهما ، لأنهم كانوا يعرفون أن هذه ذكرى الزواج الخمسون . أرسلت شجرة الورد رائحة عطرية قوية فى الشمس الموشكة على الغروب . سقطت أشعتها على وجهى الزوجين فبديا متوردي الخدين . ورقص أصغر الأحفاد حولهما ، وأعلن أن شيئًا رائعًا سيتم الليلة .. سوف يظفرون جميعًا بوجبة من البطاطس الساخنة . هزت الجدة رأسها وصاح الزوج : مرحى ! »

قال الصبى الذى كان يصغى لهذه القصة :

ـ « لكن هذه ليست قصة خيالية .. »

قال الراوى :

ـ « الأساسى هنا أن تفهمها .. فلنسأل الجدة .. »

قالت المربية :

ـ « ليست قصة خيالية .. إنها حقيقة .. أفضل القصص الخيالية نشأت من الحقائق .. ولو لم يكن ذلك كذلك لما نمت شجرة الورد هذه من براد الشاى .. »

ثم رفعت الصغير من الفراش ووضعته على صدرها ، والتفت حولها أغصان شجرة الورد المفعمة بالورود . جلسا فى مسكن فى الهواء ، فحلق بهما .. كان هذا جميلاً ! وفجأة صارت المربية العجوز عذراء جميلة شابة ، لكن ثوبها ظل ذات الثوب الأخضر بزهوره البيض . على صدرها كانت زهرة حقيقية وفى شعرها المتموج إكليل من زهور . كانت عيناها زرقاوين جميلتين تحب النظر إليهما ، وقد قبلت الفتى .. كان كلاهما فى السن ذاتها ويشعران بالشىء ذاته . يدًا فى يد مشيا إلى التكعيبة فى الحديقة الجميلة . قرب الممر كانت عصا الأب مربوطة فبدت للصغيرين كأنها حية . ما إن مروا بجوارها

حتى تحول مقبضها البراق المستدير إلى رأس حصان يصهل ، ومعرفة سوداء طويلة تتطاير فى النسيم ، ومنها خرجت أربع أقدام رقيقة لكنها قوية . كان الحيوان جميلاً قويًا ، ومعه انطلقوا يركضون فى الزقاق .

وصاح الصبى :

ـ « مرحى !! نحن ننطلق أميالاً ! ننطلق نحو القلعة التى كنا فيها العام الماضى ! »

وانطلقوا عبر المرج المعشوشب ، بينما العذراء الرقيقة التى ـ كما نعرف ـ ليست إلا المربية العجوز تصيح :

ـ « الآن نحن فى الريف .. ألا ترى بيت المزرعة هناك ؟ وهناك شجرة الورد جواره .. والديك ينبش الأرض من أجل الدجاج .. أنظر كيف يتبختر ! الآن نحن قرب الكنيسة .. إنها تقع هناك بين أشجار البلوط .. هذا هو دكان الحداد حيث تشتعل النار .. وحيث الرجال أنصاف العراة يدقون بمطارقهم حتى يتطاير الشرر .. بعيدًا بعيدًا !! »

رأى الصبى كل هذا حقًا .. بعد هذا لعبا فى حديقة جانبية ، ورسما حديقة صغيرة على الأرض وانتزعا براعم ورد من شعرها ثم زرعاها ، فنمت كتلك التى زرعها العجوزان حينما

كانا طفلين . مشيا واليد فى اليد كما فعل العجوزان فى طفولتهما لكنهما لم يمشيا إلى البرج المستدير أو (فردريكسبيرج) .. لقد لفت العذراء ذراعها حول الصبى ثم طارا بعيدًا فوق (الدانمرك) كلها .

جاء الربيع فالصيف ، ثم جاء الخريف ، وانعكست ألف صورة فى قلب وعينى الصبى . وكانت الفتاة تتغنى له دومًا : « لن تنسى هذا .. وطيلة طيرانهما كانت رائحة عذبة تفوح من الشجيرة .. »

قالت له :

ـ « المكان جميل هنا فى الربيع ! »

ووقفا فى غابة من الزان بدأت تكتسى بالخضرة .. حيث أعشاب (الودراف) تبعث عبقها عند أقدامهما .. والزهور الحمر تتألق وسط الخضرة .

قالت له :

ـ « المكان جميل هنا فى الصيف ! »

وحلقت فوق القلاع التى شهدت زمن الفروسية الغابر ، وحيث تنعكس الجدران الحمر والحصون فى مياه القنال ..

وحيث يسبح البجع . اختلست النظر إلى الأزقة الجانبية وفى الحقول كان القمح يتموج كالبحر . وفى الخنادق كانت الزهور الحمر والصفر تنمو . وعندما جاء المساء ارتفع القمر مستديرًا كبيرًا ، وفاحت رائحة عذبة من أكوام القش فى المروج .

قالت له :

- « المكان جميل هنا فى الخريف ! »

وهنا اكتست الغابة باللون الأحمر والأخضر ، وجاءت الكلاب تتواثب ، وجاءت أسراب من الطيور البرية تحلق فوق النصب الحجرى .. كان البحر أزرق غامقًا تغطيه سفن ذات أشرعة بيض . وجاء صبية وعجائز .. الصبية غنوا بينما العجائز حكين قصصًا خيالية . كانت تلك القصص تحكى عن جنيات الجبال والعرافين ..

قالت له :

- « المكان جميل هنا فى الشتاء ! »

فتغطت الأشجار بالثلج فبدت كشعب مرجانية بيض .. وتهشم الثلج تحت الأقدام ، وبدا فى السماء نجم هاوٍ تلو آخر .. وأضيئت شجرة الكريسماس فى الغرفة . وفى الريف تعالى

صوت الكمان فى غرفة الفلاح ، وهجم الأطفال على الكعك المخبوز حديثًا . حتى أفقر الصبية قال :

- « المكان جميل هنا فى الشتاء ! »

نعم .. كان جميلاً ..

وقد أرته الفتاة كل شىء وظلت شجرة الورد تبعث عطرها ، ونما الصبى ، ليصير شابًا ولسوف يذهب ليرى العالم كله . يذهب إلى الأراضى الحارة حيث تنمو أشجار البن . لكن لحظة رحيله أخذت الفتاة برعم وردة من صدرها وأعطته إياه ليبقيه معه . فوضعه بين صفحات كتاب الصلوات . فإذا فتح الكتاب أثناء سفره كان يفتحه حيث توجد الوردة . وكلما نظر لها أكثر كلما صارت أنضر . كأنها نضارة المروج الدانمركية مجسدة ، وبين أوراق الوردة كانِ يرى العذراء الصغيرة تنظر له بعينيها الزرقاوين .

همست :

- « المكان جميل هنا فى الشتاء والصيف والربيع والخريف .. »

ثم حلقت ألف رؤيا أمام عينيه ..

هكذا مرت أعوام عديدة وقد صار شيخًا عجوزًا .. وقد

جلس مع زوجته تحت الشجرة المزهرة . اليد فى اليد كما فعل الجد والجدة فى الأكواخ الجديدة .. وتكلما كما فعلا فى الأيام الخوالى . تكلما عن ذكرى زواجهما الخمسين .. جلست العذراء الصغيرة ذات العينين الزرقاوين وبراعم الورد فى شعرها فوق الشجرة وقالت :

ـ « اليوم هو الذكرى الخمسون .. »

ثم من شعرها أخرجت وردتين ولثمتهما .. فى البداية تألقتا كالفضة ثم كالذهب وحين وضعتهما على رأسى الشيخين تحولت كل وردة إلى تاج ذهبى . هكذا جلسا كملك وملكة تحت الشجرة العطرة ، وحكى الرجل لزوجته قصة المربية العجوز كما حُكيت له صبيًا . وخيل لهما إنها تشبه قصة حياتهما .. والأجزاء التى كانت أكثر شبهًا هى التى راقت لهما كثيرًا .

قالت العذراء على الشجرة :

ـ « البعض يطلق علىّ (المربية العجوز) والبعض يطلق على اسم (رياد) .. لكن فى الحقيقة اسمى هو (الذكرى) .. أنا من يجلس فى هذه الشجرة التى تكبر وتكبر .. أنا أتذكر وبوسعى أن أحكى أشياء .. ترى هل ما زالت لدى زهور باقية ؟ »

فتح العجوز كتاب صلواته .. هناك كان برعم الوردة نضرًا كما وضع من قبل . وأغمض العجوزان عينيهما وكانت تلك نهاية القصة .

رقد الصبى فى فراشه ولم يدر إن كان هذا حلمًا أم لا ، أو ما إذا كان قد أصغى لقصة . كان براد الشاى على المنضدة لكن لم تخرج منه شجرة ورد . والعجوز الذى كان يحكى كان فى طريقه للخروج من الباب وقد فعل ..

قال الصبى :

ـ « ما أروع هذا ! أماه ! لقد زرت البلدان الدافئة .. »

قالت أمه :

ـ « كنت لأعتقد هذا لو شربت مثلك قدحين من شاى الورد .. هذا كاف كى يرتاد المرء البلدان الدافئة .. »

ولفته فى الأغطية بإحكام ، حتى لا يبرد . وقالت :

ـ « لقد نمت نومًا طيبًا بينما أنا أجلس هنا أتناقش معه حول هذه القصة .. هل هى قصة عادية أم خيالية .. »

ـ « وأين المربية العجوز ؟ »

قالت الأم :

ـ « فى البراد .. وقد تظل هناك .. »

★ ★ ★

البطــة القبيحــة

كان الطقس صيفيًا جميلاً فى الريف ، وقد تكوم القمح الذهبى والشوفان الأخضر وأعواد القش فى أكوام فى المرج فبدت جميلة . اللقلق يمشى على ساقيه الطويلتين ويثرثر باللغة المصرية التى تعلمها من أمه . كان السير فى الريف متعة بحق ..

وفى بقعة مشمسة كان بيت مزرعة جميل جوار نهر عميق ، وجوار المنزل نمت أوراق (البردوك) عالية حتى أن طفلاً يستطيع الاختباء تحت ورقة منها . وفى هذا المخبأ المريح جلست بطة فى عشها ترقب أفراخها يفقسون . كانت قد بدأت تمل العملية لأن الصغار كانوا بطيئين فى الخروج ، ولم يكن يزورها أحد ، لأن البط كان يفضل السباحة فى النهر على تسلق الضفة الزلقة ، للجلوس معها تحت أوراق البيردوك بغرض الثرثرة ..

ومن كل بيضة خرجت بطة صغيرة ثم أخرى لتقول : « بيب بيب » قالت الأم : « كواك » ، من ثم راح الصغار جميعًا يقولون « كواك » مثلها ، وراحوا ينظرون حولهم إلى أوراق الشجرة العملاقة . سمحت لهم أمهم بالنظر لأن اللون الأخضر مفيد للعينين .

قال البط الصغير وهو يقارن العالم الواسع الذى خرج إليه بالمكان الضيق داخل البيضة :

ـ « ما أجمل العالم ! »

قالت الأم :

ـ « هل تحسبون هذا هو العالم كله ؟ انتظروا حتى تروا الحديقة .. إنها تمتد حتى حقل الخورى ، لكنى لم أجسر قط على قطع هذه المسافة .. هل خرج الجميع ؟ لا ليس بعد .. ما زالت أكبر بيضة لم تفقس بعد ، وأنا قد تعبت .. ترى كم من الوقت يلزمها ؟ »

ـ « كيف حالك ؟ »

سألتها بطة عجوز جاءت لزيارتها فقالت :

ـ « بيضة واحدة لم تفقس بعد .. لكن انظرى لهؤلاء .. أليسوا أجمل كائنات يمكن أن تريها ؟ يشبهون أباهم بشدة وإن كنت حانقةً عليه لأنه لم يأت ليسأل عنى قط .. »

قالت البطة العجوز :

ـ « دعينى أر البيضة التى لم تفقس .. لا شك لدى فى أنها بيضة ديك رومى .. ذات مرة أغرونى بالرقاد على

بيض كهذا .. وبذلت جهدى مع الذرية لكنها ظلت تخاف الماء .. دعينى أر .. نعم .. إنها بيضة ديك رومى .. خذى نصيحتى واتركيها حيث هى واذهبى لتعلمى الأطفال السباحة .. »

ـ « أعتقد أننى سأرقد عليها .. لقد انتظرت أيامًا طويلة فلا فارق فى المزيد من الوقت .. »

ـ « كما تريدين .. »

فى النهاية فقست البيضة وخرج منها كائن صغير .. « بيب بيب » .. كان كبيرًا قبيحًا .. وقد نظرت له البطة فى دهشة وقالت :

ـ « إنه كبير جدًا ولا يشبه الآخرين .. أتساءل إن كان حقًا ديكًا روميًا .. سنرى .. سآخذه للماء ولأرى إن كان سيسبح .. »

فى اليوم التالى كانت الشمس مبهجة ، لذا أخذت الأم أطفالها إلى الماء ، ووثبت فيه ثم صاحت : « كواك كواك » ، من ثم وثب البط الصغير واحدًا تلو الآخر .. غطست الرءوس تحت الماء ، لكنهم ارتفعوا ثانية وبدءوا يسبحون ببراعة وأرجلهم تجدف من تحت الماء ، وكانت البطة القبيحة تسبح معهم بالسهولة ذاتها ..

قالت الأم :

ـ « آه .. إذن هو ليس ديكًا روميًا . ما أبرعه فى استعمال قدميه .. إنه ابنى وهو ليس قبيحًا جدًا لو نظرت له بعناية .. كواك كواك ! تعالوا معى لأعرفكم لصفوة مجتمع المزرعة .. لكن أبقوا بقربى وقبل كل شىء خذوا الحذر من القط .. تذكروا أن تتصرفوا بأدب وأن تحنوا رءوسكم أمام الكبار .. هذه البطة هناك هى أكرمنا محتدًا .. إن دمًا أسبانيًا يجرى فى عروقها .. ألا ترون العلم الأحمر مربوطًا لقدمها ؟ هذا شرف حقيقى لأية بطة .. معنى هذا أن أحدًا لا يريد فقدها .. تعلموا المشى المهذب .. البطة المهذبة لا تثنى أصابع رجلها .. بل تفتح ما بين الأصابع مثلما يفعل أبوها وتفعل أمها .. احنوا رءوسكم وقولوا : كواك .. »

فعل البط كما طلبت لكن البطة الراقية قالت :

ـ « انظروا ! هنا سلالة أخرى كأنما ليس لدينا ما يكفى منهم ! وما أغرب مظهر هذا .. لا نريده هنا ! »

ثم طارت وعضت البطة القبيحة فى عنقها .

قالت الأم :

ـ « دعيه .. إنه لم يؤذ أحدًا ! »

قالت البطة الحقود :

ـ « أجل .. لكنه كبير وقبيح .. لذا يجب إبعاده .. »

ـ « لكنه مهذب ويسبح بشكل ممتاز .. أما عن حجمه فالسبب أنه ظل فى البيضة أطول من اللازم .. »

بدأ البط يندمج مع الباقين ، لكن البطة القبيحة التى خرجت متأخرة من البيضة ظلت تتلقى السخرية وتدفع وتعض .. ليس من البط فقط بل من كل الدواجن .

ـ « إنه كبير جدًا ! »

أما الديك الرومى الذى كان يعتبر نفسه إمبراطورًا فقد نفخ نفسه كسفينة بشراع ، وطار نحو البط وقد احمر رأسه غضبًا حتى لم يدر المسكين الصغير لأين يذهب .. لقد ساءت حالته يومًا بعد يوم . حتى إخوته وأخواته لم يعاملوه برقة ، وكانوا يقولون له :

ـ « أنت مخلوق قبيح .. ليت القط يظفر بك ! »

وقالت أمه إنها تتمنى لو لم يولد . حتى الفتاة التى تطعم البط ركلته بحذائها .

قال لنفسه :

ـ « إنهم يخافوننى لأننى قبيح .. »

وأغمض عينيه وطار مبتعدًا .. حتى بلغ مستنقعًا يعيش فيه بط برى .. هناك قضى ليلته منهكًا محزونًا .

فى الصباح صحا البط فالتفوا حوله .. بذل جهده ليكون مهذبًا لكن البط قال له :

ـ « أنت شديد القبح .. لكن هذا لا يهم ما لم ترغب فى الزواج من واحدة من أسرتنا .. »

يا للمسكين ! لم يفكر فى الزواج قط ، لكنه فقط أراد الإذن بالبقاء بين الأغصان وشرب الماء من المستنقع . بعد أيام جاءت إوزتان صغيرتان إليه .. وكانتا وقحتين حقًا .. وقالت له واحدة منهما :

ـ « اسمع .. أنت قبيح إلى درجة أننا معجبتان بك .. »

هلا أتيت معنا وصرت طيرًا مهاجرًا ؟ هناك مستنقع بقربنا سوف تجد به بعض الإوز البرى الجميل ، وهى فرصتك لتظفر بزوجة برغم قبحك .. »

بوب بوب !

دوى الصوت فى الهواء فسقطت الإوزتان ميتتين ، وتلون الماء بالدم . بوب بوب ! فحلق كل الإوز البرى من الأحراش . جاء الصوت من كل صوب لأن الصيادين حاصروا المستنقع وبعضهم جلس على غصون الأشجار .. وارتفع الدخان الأزرق فوق المستنقع على حين حاصرته كلاب الصيد .

لكم أثاروا رعب البطة المسكينة ! أخفت رأسها تحت جناحها ، وفى اللحظة ذاتها مر كلب عملاق أمامها .. كان فكاه مفتوحين ولسانه يتدلى وعيناه تلمعان بشكل مخيف . تشمم البطة بأنفه ثم واصل الركض دون أن يلمسها ..

قالت البطة وهى تتنهد :

ـ « آه .. ما أسعدنى بالقبح ! حتى الكلب لم يرض بأن يعضنى ! »

وظلت ثابتة ساكنة تصغى لأصوات الطلقات تتردد .. وقد انتظرت ساعات طويلة حتى بعدما ساد الهدوء ؛ لأنها لم تجسر على الحركة . أخيرًا فرت من المستنقع فقط لتواجه عاصفة عاتية .. ظلت تقذفه ، وهى لا تقدر على مقاومتها حتى جاء المساء . فى النهاية بلغت كوخًا بائسًا يبدو آيلاً على السقوط .. وما يبقيه فى مكانه هو أنه لم يقرر الجانب الذى يسقط عليه . جلست جوار الباب المغلق ترتجف من العاصفة .. ثم لاحظ أن هناك فتحة كبيرة تحت الباب تسمح له بالدخول .

كان يعيش فى الكوخ امرأة وقط ودجاجةٍ . كانت المرأة تطلق على القط « ابنى » .. وكان القط محبيًا حقًا .. يجيد رفع ظهره ويفرّ ويطلق الشرر من فرائه لو فركته فى اتجاه خطأ .. أما الدجاجة فكانت قصيرة الساقين وكان بيضها طيبًا ..

فى الصباح اكتشفوا أمر الزائر فقر القط ونقت الدجاجة . قالت المرأة :

ـ « ماذا هناك ؟ »

وتفحصت الغرفة لكن نظرها كان ضعيفًا لذا حين رأت البطة حسبتها بطة كبيرة بدينة وقالت :

ـ « يا لها من جائزة ! أرجو ألا يكون ذكرًا لأننى أشتهى بيض البط .. سننتظر ونرى .. »

لهذا وضعت البطة فى موضع الامتحان ثلاثة أسابيع ، لكنها لم تبض . وكان القط والمرأة يقولان دومًا : « نحن والعالم » بمعنى أنهما كانا يعتبران نفسيهما نصف العالم ..

هكذا جلست البطة فى الركن منخفضة المعنويات حتى جاء النهار . وشعرت برغبة عارمة فى السباحة فى الماء حتى إنها لم تستطع إلا أن تخبر الدجاجة .

قالت الدجاجة :

ـ « يا لها من فكرة سخيفة .. ليس لديك ما تعملين لذا تضيعين الوقت فى التخيل .. لو كان بوسعك أن تقرى أو تبيضى لذهبت هذه الأوهام .. »

- « لكنه شعور ممتع ! »

- « ممتع فعلاً .. اسألى القط فهو أحكم حيوان عرفته .. اسأليه إن كان يحب أن يسبح ولن أقول رأيى .. اسألى صاحبتنا العجوز .. هل تحسبينها تحب السباحة أو تدع الماء يمس رأسها ؟ »

- « أنت لا تفهمينني .. »

- « أنا لا أفهمك ؟ ومن يفهمك ؟ هل أنت أبرع من القط أو العجوز ؟ كفى عن هذا يا طفلة واحمدى الله على أننا استقبلناك هنا .. ألا تعيشين فى غرفة دافئة يمكنك التعلم فيها ؟ لكنك ثرثارة وصحبتك غير محببة .. لهذا أنصحك لمصلحتك أن تبيضى وتقرى كالقط فى أقرب وقت ممكن .. »

قالت البطة :

- « أظن أن على مواجهة العالم من جديد .. »

- « نعم .. افعلى ذلك .. »

هكذا فارقت البطة الكوخ ، وسرعان ما وجدت الماء الذى تستطيع السباحة فيه ، لكن باقى الحيوانات تحاشتها . وجاء الخريف .. اصفرت الأوراق ثم صارت بلون الذهب ثم جاء الشتاء ليطير بها ، ووقف الغراب على الشجر يصيح « كروك كروك » .. يكفى منظره لجعلك ترتجف .

ذات يوم جاء سرب من الطيور الجميلة التى لم تر البطة مثلها . كان هذا بجعًا وقد راح يثنى أعناقه بينما الريش الجميل يتألق بلونه الأبيض . كانوا يفردون أجنحتهم ويطلقون صيحة ثم يحلقون نحو أقطار دافئة عبر البحر .

شعرت البطة بشعور غريب وهى ترى هذه الطيور الجميلة التى لا تعرف اسمها .. وجدت نفسها ترفع رأسها وتطلق صيحة أثارت ذعرها هى نفسها .. لقد شعرت نحو هذه الطيور بأغرب شعور أحسته من قبل .

يا للطائر التعس ! كان سيقبل حياته مع البط لو أعطاه أدنى تشجيع .

ازداد البرد ، وصار عليه أن يسبح بإصرار فى الماء ليمنعه من التجمد ، لكن فى كل ليلة كانت المساحة المخصصة للسباحة تضيق وتضيق . فى النهاية غلبه التعب فتوقف فى الماء وبدأ الثلج يحيط به .

فى الصباح مر مزارع ورأى ما حدث .. فهشم الثلج بحذائه الخشبى وحمل البطة الصغيرة للدار إلى زوجته . أعاد الدفء الحياة للبطة لكن حينما أراد الأطفال اللعب معه خاف أن يؤذوه . طار فسقط فى وعاء اللبن وبعثر اللبن فى الغرفة . صفقت المرأة بكفيها فأفزعه هذا وطار إلى برميل الزبد ثم إلى إناء الدقيق . يا للحالة التى صار بها !

صاح الاطفال وضحكوا وحاولوا الإمساك به لكنه استطاع الهرب . كان الباب مواربًا ففر منه المخلوق التعس فقط ليتوارى بين الأشجار فى الثلج . لو حكيت ما مر بهذا المسكين فى الشتاء القاسى لغمرنى الأسى . لكن حين انتهى وجد نفسه ذات ربيع فى مستنقع . شعر بالشمس الدافئة وسمع غناء البلبل . شعر بجناحيه يكتسبان قوة وهو يحركهما ويرتفع فى السماء .

طار حتى وجد نفسه فى حديقة كبيرة قبل أن يعرف كيف . كانت أشجار التفاح فى ذروة نضجها وبدا كل شىء رائع الجمال فى نضرة الربيع المبكر .

ومن أجمة قريبة جاءت بجعات بيض تسبح فوق الماء الأملس . تذكرت البطة هذه الطيور الجميلة وقالت لنفسها :

ـ « سأسبح إلى هذه الطيور الملكية ولسوف يقتلننى لأننى قبيحة .. لكن هذا لا يهم .. من الأفضل أن يقتلننى من أن ينقرنى البط ويضربنى الدجاج وتدفعنى الفتاة التى تطعم الدواجن .. »

سبحت نحو البجع فالتف حولها .. قالت لهم :

ـ « اقتلننى .. »

وغطست برأسها تحت الماء وانتظرت الموت .. لكن ماذا رأت فى صفحة الماء ؟ لم تعد بطة قبيحة منبوذة .. إنها بجعة

رائعة الجمال .. أن يتربى الطائر فى مزرعة لأمر لا يناسبه إن كان قد خرج من بيضة بجعة . إنه الآن مسرور لكل ما عاشه من حزن ومعاناة ، لأن هذا جعله يقدر أكثر الجمال المحيط به . لقد سبح البجع حول القادم الجديد ودغدغوا رأسه بمناقيرهم ، وبعد قليل وصل بعض الأطفال إلى الحديقة فراحوا يلقون بالكعك والخرز فى الماء ، وصاح أصغرهم :

ـ « أنظروا ! هناك واحدة جديدة ! »

وجروا ليخبروا آباءهم وقالوا :

ـ « البجعة الجديدة هى الأجمل .. جميلة صغيرة السن .. »

شعرت البطة بالخجل فدارت رأسها تحت جناحها لأنها لم تعرف ما تفعله .. كانت سعيدة لكنها غير مغرورة على الإطلاق .. كانت قبيحة منبوذة والآن يقولون إنها أجمل طائر فى العالم .. . هكذا رفعت رأسها وأطلقت صرخة :

ـ « لم أتوقع هذه السعادة قط حينما كنت بطة قبيحة ! »

هانز كريستيان أندرسن

(تواريخ متفرقة)

تمت بحمد الله

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

حكايات أندرسن

55

مهما كانت جنسيتك أو ثقافتك، فلابد أنك تحمل في جزء من خلايا عقلك بعضًا من إبداعات (هانز كريستيان أندرسن). هل شعرت يومًا ما بأنك (البطة الصغيرة القبيحة)؟ هل سمعت تعبير (الإمبراطور عار تمامًا) عندما يعلن أحدهم حقيقة يخشى الناس الاعتراف بها؟ هل رأيت فيلم الرسوم المتحركة (عروس البحر الصغيرة)؟ إذن أنت قد دخلت ذلك العالم الساحر دون أن تعرف ......

العدد القادم الستار

الثمن في مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٨٤٥٥-٩٠ - ٦٨٣٤٤٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٦٨٤٧٠٠٢

